

صيد السمك

الاسماك

مجموعة من

عيد الفصحى

الرايح

سبعة فصحى

المراعية

يا رمز جبريل في الدنيا وعائشة
بين الانام بقلب ملؤه جمر
ودعت دنياك كالنساك رانبة
عن الوجود وعيش كل شر
ودعت أحلامها في غير ما أسف
ماذا دهاك ؟ ألا أمر له سر ؟
كيف ارتضيت حياة الفقر هانئة ؟
وكيف أغراك ذاك المهمة الوعر ؟
هل المراعي التي طابت مغارسها
سمى اليك بها الايناس والبشر ؟
أتسمعين ثغاء في جوانبها
أم تسمعين غناء ، بعضه سحر ؟

ومن عجائب ما شاهدت راعية

تقسمو دلمها الليالى . . وهي تفترا

أنتلك راعية في القفر ضاربة

أم روضة رف فيها الزهر والنور

قد لها النور في أبهى غلائله

وزانها المفريات . . النبل والطهر

* * *

يا ربة الفلمات البيض طالمة

بين المروج كما قد يطلع الفجر

دنياك ، دنياك ما أندى مخاضرها

وما أحب رباها ، إنها شمر

كأنما أنت إذ تبدين عاطرة

روض تنفس في أنحائه الزهر

* * *

يا ربة الفلمات البيض تكلؤها

عين السماء ويزكو عندها البر

قفر حياتك لكن حين ألمسها
يكاد ينشق روضاً ذلك القفر
وحيدة أنت في دنياك راضية
بما تجيء به الأقدار والدهر
يا حبذا القفر دهرأً التي سئمت
كل الأباطيل ممن ودهم غدر !



قصائد غابرة

يظن البعض أنني أثبت آرائى في خفقة الطائر على ضوء شاعريتى
وراء كل خيال يتراءى لى من خلف الغيب المجهول .
وفي الواقع إن كل ما أكتبه أعتقد أنه حقيقة أكيدة .
تلمستها وأحسست بها عن طريق أو طريق معارفى وأقاربي من
الجنسين . فاذا اتهمني البعض بالمبالغة في الخيال والحس . فلا أنه
لا يعرف الحياة التي عشت فيها أنا أو لمحتها عن كذب أحيانا، تجوب
فيها أنفاس الرجال والنساء من كل لون ومن كل بيئة .
ولست من الغرور بحيث أزعج أنني بلغت مرتبة ممتازة من
الادراك والمعرفة . ولكنني أحاول دائماً أن أتعرف الحقيقة
الكامنة في قلب كل مرئى وسيان عندي جذب الكائن قلبي أو
عقلي لأننى استخدمهما معا في تشرح كل ما يقع تحت
ناظري أو ما يبلغ مسمعى .

فاذا أحسست أن الشيء اجتاز جنبات نفسى وأن الطبيعة

أعارته أصابعها الخفية ليلعب بها علي اوتار القلب . أخذتني غفوة .
أشبهة بالحلم فأوي الى صومعتي منفردة بمشاعري ومداري في
ذلك التيه اللامرئي الذي يسميه الناس خيالاً ، وأسميه أنا سلم المعرفة ،
حتى اذا نهني ناقوس الحياة . بدأت أستعيد الصور التي
مرت أمام ناظري مصغية الى الهاتف الخفي الذي يلقي علي عقلي
دروس الحكمة في غير موارد ، وكالطفلة الساذجة المتطلعة الى
كل مجهول استمع اليه وأتأمل مشاهد الواقع الجميل الذي يرسمه
بأصابعه النارية أمامي .

فاذا استوعب عقلي ماسمعه وجاوب قلبي ما بلغه بدأت أرسمه
بقلمي في غير وشي ولا زينة .

ولولا اعتقادي بأن ما أصوره حقيقة راسخة لما استطعت
مطلقاً أن أكتب حرفاً واحداً . لان تصوير الحقيقة أيسر منالا
من رسم الخيال ، وقد يتناقض الامر مع نزعتي الخيالية الوثابة ، ولكنني
أأخذ الخيال كفلاية ألف بها الحقيقة الرهيبة لتكسيها روعة
وجالاً وتملك حس القاري في هواة ولين .

واذن فانا أتخيل لا أكسب الحقيقة جوالاحتمال ، ولكنني أنقل

للناس صور الحقائق بأمانة ، وصدق ، والرغبة في بسط الحقيقة واضحة .
تقتضي الاعتماد علي البساطة ، لذا أحرص عليها سليمة من عبث الخيال .
وظله لتبدو في جلاء وصفاء .

والحق اننى أبذل جهداً كبيراً في الاهتداء الي أقوم سبيل في
الحياة ، وطالما يهينني الجد ويخونني التوفيق ؟
كل سبيل توهمت أنه الممر البالغ للفاية يتعرج بعد شوط ،
ينثني ويدور ، وتستقيم ليتكسر ثم يتشعب في وجه السارى فاذا
النهاية كالافق الخادع .

كذلك الناس . . .

أتفرس في الوجوه فألفاها مرايا كدرة لاتظهر الظلال ،
وأتسرب من العيون الى أعماق الصدور فأتخبط ضالة في الغياهب .
لأنها خرائب ، وأتوه في ظلمات الضمائر لأنها مغاور .
فارتد في جذع ارتداد الضال .

ان ما أكتبه هو صورة ما في ذهني وصيغة صحيحة لما في
قرارة نفسي وشبه تام لضميري فألشر رأي غير حافلة بنوع أثره

في الغير وليستوى عندى الرضا عنه أو النفور منه .
الرأى كالشمس المشرقة تنير الكون ولكنها فضيحة ،
وكالصاعقة تنقض ولكنها تسحق وتحرق .
الصراحة حلاوة ومرارة ، والمناس شأنهم فالخلق عاجز عن
إرضاء من الف المداواة والكذب والتفجير .
أعرف أذهانا خضبة عامرة بالمعرفة ولكنها كنوز محبوسة
خشية من لوم اللائم أو رهبة من غضب الحاكم .
وحبس الرأى فيه اختناق بل هو الانتحار البطيء (باسفكسيا)
الجبن .

ولي في الحياة أمل ، لهذا لا أختنق وأنشر رأى في غير تهيب .
لعل نفسي عامرة بالتفاؤل المطلق لأنها تحدثنى بحمل المشغل
أمام الجماعة الناهضة الى طريق الخير .
ومن المحقق أنى ضعيفة والمهمة شاقة عنيفة ، ولكن سمو
الغاية يغرى ونزاهة القصد تقوي الرغبة في المغامرة .
هل أفلاح ؟ ... لم لا ...
لم لا أكون قطرة من مزن الخير ؟

لم لا أتقدم الصفوف للتنشيط ثم أترك لغيري تعبيد السبيل
والوصول الى الهدف ؟ . .

لم لا أصبح . . فيساعدني الصدي على نشر الدعوة في قصف
كالرعد فيبلغ الى الآذان السماء صيحة مججلة والى أعماق الضمائر
هزات عنيفة . . ؟

إلى الميدان :

فالغاية سامية ، والقصد نبيل ، والعمر قصير .

عند ما قدمت «الأميرة» للقارئ جعلتها تقدم نفسها دون أن
الفت نظر القارئ إليها . لعامي أنها صادقة في تمبيراتها صريحة
في كل ما تبديه .

وأنا لا أتعهد أن أقدم هذه الأقايص الى القراء بدعاية
من المنطق ، انما أدع الخواطر ترسم صور الحياة في غير كلفة لتبلغ
ذهن القارئ في غير عناء .

والحق الذي يقرر رأيه ثم يبحث عن الأدلة لتدعيم هذا الرأي يكون
تصرفه واضح الخطأ فكذلك الكاتب الذي يبتدىء عمله بوضع

نظريته ثم يتخيل وقائع « موضوعه » يسلسلها في صورة قصة
التقريب حواشيها رأيه ولتثبت نتائجها نظريته .

أما الذي ينشد السلامة من الخطأ في المقدمات والنتائج فمحتوم
عليه الانسياق مع الوقائع الصحيحة ليكون رأيه وليستنتج العبرة
أو الحكمة .

والمعروف ان أكثرية قراء القصص ليس لهم الصبر على دقة
البحث والفحص لتمييز الخطأ من الصواب ، وهذا الفريق يدفعه
الكاتب التاجر الى السبيل الذي رسمه ويذهبي به الى التسليم بصحة
رأيه الخاطيء .

أما أكثرية الذين لهم الكفاية من المعرفة فقد انقوا المطالعة
في غير فحص بسبب الكسل عن ارسال العقل للكدر في البحث ،
يطالعون تصفحاً للتسلي بحوادث القصة .

وهذا التراخي يمكن الكاتب الضال من الاستتار ويضمن
له النجاح فيزيد وثوقه في رأيه وفي منطقته فيفضل معه القراء
والبحث في أحوال النفس وعن أنواع المؤثرات الطارئة فيها
بحث توجب العناية به من أهل المعرفة عنايتهم بشئ شئون الحياة

الاجتماعية والاقتصادية، فكما لازمة وكل ناحية منها متممة للبقية.
وقلب الانسان ناحية غامضة لان العاطفة تتأثر بصورة غير منظمة
ولأنها تدأب على الوثب في صمت بتأثير الغريزة العمياء فيندفع
الانسان الى تصرفات عملية هي التي نراها ونلمس نتائجها.
والقصة التحليلية هي التي تحاول ازالة تلك الناحية الغامضة
مستعينة على البحث بعلم النفس فتزد الاسباب الى المسببات ثم تشرح
الغامض بالتعليل العلمي .

والتصور هو الاثر الواضح الذي يهdy الى نوع المؤثر النفسى
في العاطفة وسبب نشاطها وناحية اتجاهها ثم الغاية التي تثب اليها .
فاذا كان البحث متجها الى الوجهة الصحيحة يكشف مصدر
التصرف والباعث عليه وصورة النفس ويرشد الى روح الغريزة
ارشاداً يمكن من الاصابة في تشخيص المرض فتييسر معالجته .

ومن المسلم به أن الكاتب يقع كغيره تحت المؤثرات في النفس
أو العقل حيث تطنى قوتها عليه في حياته الخاصة وفي تصرفاته ،
ويندر وجود الكاتب الذي يسلم من تلك القوي الطاغية أو يتحصن

من عدوانها ليكون تفكيره وبحثه في حرية واستقلال ويكفي
ما ينشر للكاتب من آراء ونظريات للتمكن من معرفة نفسيته
ونوع غريزته فبينما هو يحاول التحليل بالنقد أو بالتعليق أو
بالتعليل اذا هو يكشف في غفلة منه عن نوع فكره ومعدن نفسه .

والقاريء يعرف أن شوط الحياة كله دراسة لمن يريد الانتفاع من
التجارب ، والمطالعة تعاليم لمن يحاول البحث والمقارنة والاستنتاج ، وكل
مطالعة بدون فهم وادراك وفحص مطالعة عقيمة ضائعة ، فان من
يبحث يجد ، أما الاعتماد على الصدفة أو على حسن الظن فانه الكسل
والإهمال فلا تكون غرابة اذا قضى الكسول كل حياته في
الانتظار ثم التذمر من سوء الحظ أو من الحرمان .

لولا البحث ما بلغ العالم الى هذه الحضارة ، ولا وصل العلم الى
ما نرى من المكتشفات والاختراعات التي أفادت البشرية .
والبحث في نواحي النفس المظلمة يفيد العالم ككل بحث علمي
اذا كشف عن ناحية من هذه النواحي الخفية المجهولة .
ورجل الاقتصاد الذي يبحث في ناحيته لا يفضل عماله عمل كاتب

القصة الذى يبحث فى النفس والعاطفة ، بل عمل الكاتب أدق لأنه يبحث عن الحقيقة فى الظلام بينما يعمل رجل الاقتصاد فى ضوء البيانات والأرقام .

وتصدر تصرفات الناس عن النفس والعاطفة ، فالتوفيق فى كشف هذه الناحية المجهولة يعاون على تنظيم التصرفات فتنتظم الحركات الاجتماعية وتقل مشاكلها .

وإذن فكتابة القصة ليست هنة من الهنات ، ولا هي مجرد رغبة فى التسلية وإضاعة الوقت ، فإنها عمل شاق له خطره وقيمه ونتائجه .

لازال بين الناس من يسميّن بهذا النوع من الانتاج بسبب العجز عن ادراك قيمته الاجتماعية .

ولست أكتب لهذا الفريق ولا آبه لآرائهم فأننى كشاعرة مفكرة تقاضيت حقى كاملاً بما نعمت به من متع التفكير والبحث والمعرفة والاحساس .



الراعية

اللى أعيته

لم أنم في تلك الليلة تحت تأثير شعور غامض نبه حواسي
حتى السحر ، نادتي أمي : « جميله، قد أذن الفجر » .
وكان جبريل بصوته الملائكي ناداني فصحوت واصلت . . .
ولما تطلعت من النافذة أرقب الحياة وهي تصحو رافعة
من على هيكها النوراني رداء الليل ، أحسست بأن أنفاسها
اليقظة رقت على فنبهتني وأنعشتني وأشعرتني بحلاوة الحياة . .
هرولت الي أمي كعادتي مرتمة على صدرها فعانقتني وقبلتني
وقالت : طابت حياتك

هنا لمحت الحياة تتكلم بلسان أمي فابتسمت ثم بكيت
بغير صوت . . .

فمادت تقبلني ثم نادى أخوي : رفعت ، أنور . . وقامت

إليهما تهزهما وتذهبهما إلى الصلاة . .

أدي رفعت الصلاة مسرعا وتباطأ أنور ثم صلي ، ما عرفنا
الآيات إلا بفضل إحياء أمي وما تذوقنا حلاوة الاطمئنان
إلا بجهدا .

ودفعتني نشوة السحر إلى الخروج لأتشم عير البكور شادية
باغاني البهجة مستقبلة الشروق مع الطيور

ونيل المنصورة في الصباح الباكر صورة أصيلة للربيع الزاهر ،
وما كدت ألمح الجزر تنادينني برمالها المستسلمة الوسنانة حتى
لبيت النداء . . كأم فتحت ذراعيها وضمتها علي وحيدتها بخنان
يتجلى في رعشة الجسم الهادئ استقبلتني رمال الجزر
المذهبة المساء .

والماء يغمرها من كل الجهات فترفعني بذراعيها لتحميني من
الغرق ، قصيدة الأم ترسم هنا . .

النيل يحتضن الجزيرة ويحميها من الطوفان لتحرص على
النبت والثمار

والجزيرة تحتضني كأنها تحرص علي حياتي لكي أعيش للغاية

المرسومة لى منذ الازل . .

حنان .. حنان .. يتجلى في كل مشهد طبيعي في ذاك

الصباح الساحر .

كل شيء أُمَامِي كان يتغني بأفانين أغنيات الحنان .

* * *

تعاليت ياربي ، أى جمال أسبلته على المنصورة !

ذاك نهر النيل يسرى أمامها يحمل سلاف الخلد المشتهي وعلى

ضفتيه الأشجار المتلازمة كأنها حراس لا تشكو النصب ولا

الضنى ، جل ربي حاميا !

سماء واديها صورة لسجل الأبد بدت حروفه فى شبه ظلاله

وأجواء رسمتها ملائكة الفضاء

جل ربي حاميا !

هنا فى هذه الدنيا السحرية الجميلة لمحت الراعية تسير مع

قطيعها على الشاطئ البعيد ميممة وجهها شطر الضاحية القريبة

تتمشي فى هدوء واطمئنان وعلى وجهها لمحات البشر والامان .

راعية فى هذا المكان وفى ذاك الوقت الباكر ،

ما أعجب هذا ؟

اتجهت ناحيتها لأتبينها جيداً !

وما كدت أقرب منها حتى تذهبت لوجودي ولا شك أنها
كانت في منتهى اليقظة أو لعلها مجموعة من الأعصاب الحساسة
لأنني كنت حذرة في مسيري .

كانت الشمس قد بدأت تتنفس بحرارة اليقظة فأنهب عرشها
وسرت الحرارة في كل كائن حي ، ولوحت الراحية بمعناها
فاتجه القطيع نحو الطريق الذي أشارت إليه كأنه يفهم لغتها ومعناها .
اجتازت الشاطئ على عجل ثم سارت في طريق المزارع متباطئة
رويداً حرصاً على راحة القطيع — على ما أظن — لأنني لمحتها تنظر
إليه في حنايف وتمر بيدها البضة في رفق على ظهر كل حيوان .
وأخيراً استقر بها المقام عند أرض جدباء بها كوخ صغير دخلت
إليه بعد أن استلقى القطيع على الأرض ثم خرجت ويدها المفلز
وأخذت مكانها بين المرعى مشتغلة بالغزل .

وبعد لحظات قامت في هدوء واتزان وتمشت حتى بلغت
شجرة الجميز القريبة منها فبرز لها حتى تساقط الثمر فالتقطت منه

الطيب وعادت الى مكانها وبدأت تأكله بنهم ثم دخلت
الكوخ وغابت.

فتاة جميلة الطلعة وضاحية الجبين ذات شباب غض وحيوية
متيقظة لكل نسيم عابر ترعي الغنم وتعيش وحيدة في ذاك
الخلاء الموحش!

ما معنى هذا ؟

لم أستطع ادراك هذه الحقيقة الغامضة ودفعني الفضول الى
مصاحبته من بعيد لكي ألاحظها في حذر من غير أن تلحظني
عل لها سراً يتكشف.

بعد لحظة ، خرجت من كوخها وأخذت مجلسها بين قطيعها
واستأنفت الغزل

وطاب لي ان أتساق شجرة الجوز لألتقط بعض الثمر لا نني أحسست
بالجوع، شعرت به مبكرة لطول المسافة التي قطعتها ، لكنني خفت
ان تلمحني وأنا أريد ألا تراني لكي لا تتحفظ فاخترت شجرة
بعيدة عنها، وبعد ان تساققتها جمعت بعض ثمرها في حذر ثم وضعتة
في قصاصة كانت ملقاة علي الطريق وعدت الى مكاني .

ولما انتهيت من اكل الجميز طوح الهواء بالورقة بعيداً حتى
سقطت عليها فتناولتها وراحت تمر بنظرها على سطورها ففهمت
أنها تعرف القراءة .

اذن فهي متعامة أيضاً ، فكيف استطاعت أن تهرب محيط
الحياة الزاخر بأمواج النظم والتقاليد المرعية لتعيش في كنف
الوحشة الهائلة التي لا حدها ، وكيف تمكنت من تحطيم اسوار
الأوضاع المألوفة لتقيم لنفسها وزناً في مكان لا وزن له ولا قيمة
في نظر المجتمع الانساني، ثم كيف تمكنت من مغالبة نزعات
شبابها الشائر وأهواء صباها المتأججة وارتقت بحياة
التقشف والحرمان !

أتراها عذراء كرهت المدنية اثر غدر حبيب ، أم ارملة لجأت
الى هذه الوحدة خوفاً من أراجيف أبناء الظنون . أم زوجة
خانها الحظ فهربت الى ذلك الفقر لتجد العزاء في كنف الخلاء ؟
سواء أ كانت هذه أم تلك فهي فتاة غريبة بلا ريب !
اذ كيف يمكن لفتاة ما زالت في ربيع العمر، وهي كما تبدو فطرت
على رقة المشاعر وشدة الحساسية، أن تعيش في عالم موحش مليء

بالمخاوف والأوهام .

ثم ما لها تجلس في هدوء وطمأنينة كأنها خالية الذهن من كل ما يوجب الفزع والخوف والتعلق ، وعلى شفقتها ابتسامة كأنها تعبر عن قلبها الصافي وروحها الهنيء .

قد تكون ابنة فيلسوف تريد أن تجرب نظرية اكتسبت إيجاءها من أبيها فقدمت رفاهيتها قربانا للمعرفة التي ترجيها .
أو عليها شاعت أن تقارن بين حياة وحياة لتدرك ما خفي عنها من حقائق الكون فتكشف للإنسانية بعض خفايا الوجود .

وقد تكون عرفت أن الوحشة الهائلة والتجرد من المطامع والسكون الرهيب أهون من أباطيل المدنية وأفضل من تهاويل المجموع وأبعد خطراً من مساوئ البشر وألطف من تعسف البيئة وأعدل من ظلم التقاليد .

* * *

ما كاد يبلغ مسمعها تغريد عصافير رقت عليها ثم حلقت بعيداً حتى هيأت للصلاة ، كأن هذا التغريد أذان الظهر في

ذلك الفضاء الواسع ، ما رأيت امرأة تصلي عليها مهابة الخشوع
ونور الله ككهنه الراعية.

كأن ملاكا هبط من عليائه ليطبع على الأرض خاتم الصلاة
في صورة امرأة مؤمنة عابدة طاهرة نقية ، تطالع الشروق ببسمة
صافية ولهمة بادية كأن الشروق البهيج كلمة الأمن تنطق بها
شفتا هذه الراعية .

فاذا غابت الشمس والتفت السكون بدثار الحلم تنفست في
هدوء كأن الغروب كلمة العزاء ترسم على صفحة السماء في شبه
ظلال ملونة باضواء السحروالجمال، وعلى جبين هذه الراعية كلمات
ملتزمة حروفها من نور وبهاء .

وهي لا تنسى أن تسرى عن نفسها بالغناء فتغني بغير كلام ،
كل جانحة فيها تهتز على إيقاع منغم يجاوبه القطيع بالثغاء الهادئ
وهل يطرِب القلب ويغنى بغير إحياء حبيب ؟

لأن قلبها عامر بالحب الى درجة يسع معها ذلك الخلاء المطلق ،
لو ضمت الخلاء بين جوانحها .

لم يخفني المساء ولم ارتعد لا يناسي بها واعزمت أن أقضى

تضطراً من الليل حتي أرى ما ذا هي فاعلة فيه — لكنها اختفت
داخل الكوخ فاضطرت للعودة اذ بدأت أحس بوحشة المكان.

* * *

قمت من نومي مبكرة ، وفي الواقع لم أتم طوال الليل خوفاً
من أن تطويني الغفوة فلا أحس بدنو السحر
وقبل أن يأفل آخر نجم من نجوم السحر كنت قد ارتديت
ملابسي وما كاد الفجر يتنفس عن الصبح الوضاح حتي هرولت
مسرعة الى حيث التقيت بالراعية في الامس ، ونسيت ما تتطلبه
رياضة الصباح من توازن والنسجام في السير من فرط ما بي من
هذه اللقاءها .

لم أجدها فخفت أن أكون ضللت الطريق وبعد جهد لمحت
كوخها فهرولت اليه . ولكنني لم أرها ولم ألمح أى أثر للقطيع .
رحت أعدو هنا وهناك والعشب يحول بيني وبين المرئيات حتي
ظننت أنها غيرت مكانها . وبعد تفكير طويل تنبّهت الى أن الشمس
لم تبرز بعد ، اذن إما أنها ما زالت نائمة أو هي قد ذهبت الى مكان
يعيد لم تعد منه ، وقبل أن أذهب للبحث عنها عن لي أن أتأكد

من خلو الكوخ فذهبت في خفة وحذر حتي بلغت الكوخ
ونظرت من ثقب بابه .

عادت الطمأنينة الي لما رأيته نائمة وقد لمحت طائراً جميلاً رف
على وجهها في خفة ومر بمنقاره في لطف علي شفيتها ، قبلة ما
أعذبها وأتقاها . ثم حوم حواليتها فاستيقظت وابتسمت ورفعت
اليه ذراعيها ثم ضمتهما الي صدرها كأنها ترد تحيته بالعناق ، ثم
رفعت رأسها الي السماء لتشكر الله علي رعايته ورضاه .

ولما أيقنت أنها خارجة ابتعدت لأختفي في مكانى الظليل .
وبعد لحظة طرق بابها عابر سبيل فمدت اليه يدها بكوب من
اللبن شربه ثم ناولته بعض قطع من الزبد فاخذها دون كلام ونظره
عالق بها ، ولما ابتعد عنها رفع ذراعيه الي الله قائلاً : « اللهم امنحها
الصحة والایمان واسبل عليها ستر حمايتك » فشعرت أن ذلك أصدق
الدعاء ، وقبل أن يتواري لحقت به واستوقفته ومددت له يدي
ببعض النقود فرفض قبولها شاكراً ودعاني بالخير ثم تابع خطاه
فوسوس في صدرى الشيطان أن أستدرجه وألاطفه لتحقيق
غايتي ، فتبعت الرجل دون تفكير وناديته : « أيها الرجل :

من يقطن في هذا الكوخ ، فتأملني طويلاً وأظنه شاء
أن يعرف دخيلة صدرى قبل أن يجيبني ، ولما اطمأن الي نساء سريري
ولعل طابع الصفاء المرتسم على شفتي دائماً أفادني قال : « سيدة
كريمة تمنح بيمينها ولا تأخذ بيسارها أعني تعمل الخير لغير غاية »
فأصابني هذه الكلمة كالسهم القاتل ودمعت عيناى .

أترأه ألهم ما وراء نفسى . . ليتني ما سألته ليضممني الى
فأعنتها الخيرة ولما أطرقت لآخنى ألمي ودموعي استطرد الرجل :
« جعلها الله موفورة الخير من الصحة والكرامة . هذه المرأة لا
تملك غير التطيع ورغم ذلك تهب الفقراء والمعوزين أمثالي كل ما
تملك من بر وحنان » وصمت ملياً ليتنهد ناظراً الى الافق البعيد
ثم أردف : « وهناك الاغنياء الموسرون يملكون الملايين ويعز على الغنى
منهم أن يصرف المليم في سبيل الله فان بذل بيمينه درهماً أخذ
بيساره درهمين »

وتنفس المسكين الصعداء واستطرد . الفقراء وحدهم ياسيدي
هم مرهم جروح البؤساء وهم الذين يخفقون مصائب الانسانية بما
يملكون من بر وعطف وحنان لا يشوبه الرياء ولا تبعثه الغاية .

أنظري الى هذه المرأة التي تعيش على الخير القليل ترعى أغنامها
وتغزل أصوافها وتستخرج الزبد من ألبانها وتعمل ذلك لتمنع
راضية وتهبه طائفة الى كل فقير جائع ومسكين ضال وبئس حائر
ومنكوب شريد، الى كل من أقصته عدالة الحياة المادية عن نعيم
الوجود وقذفت به في ثورة الشقاء والتعاسة .

الفقير وحده ياسيدتي هو الذي يعرف الله وهو الذي يفهمه
ويحبه ويخافه ومع ذلك تحرمه الحياة الظالمة نعيم الدنيا الذي
وهبه الله منحة شاملة للخلائق .

ادخلي المسجد ياسيدتي وانظري عدد الاغنياء والفقراء وقارني،
الفقير يترك عماله وهو في حاجة الى قرش واحد قد يأتيه في هذه
اللحظة ويذهب ليؤدي فريضة الصلاة ، والغني يأتي أن يترك
خزائن ماله أو مكتبه ؟

أرأيت عظيمًا دخل المسجد اغير أمر جسيم .
كأن المساجد جعلت للفقراء .

الفقير وحده هو الذي يحب الله ويعرفه .

قلت : « ولا بد للارض من الفقراء لتظل عامرة بالاعيان

فلا تندم على الفقر ما دام قلبك عامراً بالآيمان .

وزفر الرجل ثم استطرد : « المال وحده يأسدني هو الذي يولد

الحقد والضعينة والكراهية

وأنا لا أريد أن أجرد الحياة منه إنما أرجو أن تصحبه

الرحمة ويلأزمه العدل والرفق والشفقة»

وصمت ليجهف مداومه في سكون وخجل .

فالتفت الى السكوخ فراقى منظر الراعية وهي تغزل، فابتسمت

فائلة : ما أندي قلب هذه المرأة ، لا تظن أنها فقيرة، أنها بفضلها

الانسانية النبيلة أغني من أغنياء العالمين . انها تملك ما هو أعز من

كنوز الارض تملك حريتها كاملة ، موفورة الحظ من الصحة

والسعادة وراحة الضمير . حسبها راحة نفسها وطمأنينة روحها،

وتمنيت في هذه اللحظة أن أكون مثلها !

وأخيراً قلت : يخيل الي أنها ليست من سكان هذا المكان

فاقترب مني مطمئناً الى كأنه يسر الي امرأ وقال : لقد اخبرني

شيخ عجوز كان يمر عليها صباح كل يوم ليأخذ حظه من هباتها

أنها قصت عليه حكايتها يوم كلفته بالذهاب الى بلدتها ليستعلم عن

بعد فرارها ، قال :

انها من اسرة عريقة وقد نشأت في بيتها مدللة مكفولة برعاية والديها حتي توفيت امها وهي لم تبلغ التاسعة من عمرها وتزوج والدها بامرأة أنس اليها واعتقد انها ستكون كأم حانية عليها. لكن الغريزة لا تقاوم مادام الشر يغذيها من معين الانانية لذا لم تستطع الزوجة أن تغالب حقدها وتحب ابنة زوجها ولم يستطع الاب ان يوفق بين الزوجة والابنة وكان الاب مصابا بضعف الارادة فاستسلم الى الزوجة واستخدمت الزوجة هذا الحب لتعذيب الابنة البريئة فبدلت نعيمها جحima وسعادتها بؤسا وبسماتها دموعا وأسلمتها الى اليأس القاتل

إن صورة الفتاة تذكرها بشبح الشريكة الميتة ، وفي كل مساء تهمس في اذن الزوج « ابنتك تعا كس ابن الجيران » وتارة تقول : « ابنتك تخرج في الطريق متهتكة وقد تعقبها شاب الى الدار حتى تهامس الجيران » ، وهكذا في كل ليله تنفث في قلب الوالد سم حقدها ومقتها ، فيتأثر الوالد ولا يحكم عقله وقلبه بل يذيق الصغيرة مر العذاب.

وأخيراً شاءت أن تستريح منها فراحت تبحث لها عن زوج كيفما
كان حتي وفقت إلي رجل لا خلاق له ومهدت السبيل إلي
زواجهما بأقصى سرعة

صعب علي الفتاة ان تقضي شطر حياتها الاولي معذبة وشطرها
الثاني تعيسة شقية فخرجت هاربة الى بعض أقاربها في بلد بعيد
فاستقبلت بالبشر والترحيب ، وبعد أيام شاء قريبها ان يستغل
شبابها وقوتها في عمل منتج بدعوى أنه يجب ان توفر لها مالا
خاصاً فوافقت الفتاة ، ولم تكذ تقبض المراتب بعد أن اشتغلت في
مشغل للحياكة حتي بدأ يطالبها بتكاليف حياتها ، فلم تمنع وراحت
تدفع له مراتب كل شهر دون تدمير أو تامل . فلم يقنع وراح
يساوم الرجال عليها .

بعد هذا بأن يزوجه إياها ويظل يطالبه بالنفقات حتي يسأم
الأخير فينسحب او يعتذر هو بدعوى ان والدها سيزوجها
بقريب ، وهكذا خسرت الفتاة سمعتها وهي بريئة وراحت تلوكها
الألسن وهي شريفة !

ثم صعب عليها ان تكون مضغة في الافواه ورأت الحياة تزداد

تجربتها وشرورها ووجدت العيش في هذا الجو الخائق موتاً بطيئاً
ورأت كل ما يحوط بها يحمل شارة الظلم والشر ، وكان الألم قد
عمه روحها وقوى إيمانها فتركت الحياة الباطلة لطلابها وجاءت إلى
حياة الأمن لتعيش بين احضان الطبيعة الهادئة وحيدة لا
يؤنسها غير إيمانها بالله

بنت عشا من الأغصان وزينته بالأوراق والأزهار، تقنت
بالثمر والنبت وتروى عطشها من ماء النهر النмир ، تعيش مع قطيعها
على أجل صورة يتمناها الانسان لنفسه بين عشيرته وأهله.
وتنحي الرجل غني متمتعاً : — حماها الله

لا يمكن أن يشعر الانسان بجمال المكان إلا إذا أحس بخفايا
معانيه وجاوب بعواطفه صدي كل أثر فيه ، لذا من العسير أن
يفهم غير الراحية جلال المسكان الذي تعيش فيه ، هي وحدها التي
تحس بأن الحنان يتجسم في كل مظهر وتشعر بنسمات العطف
الخالية من شوائب النفاق ترف عليها من كل جانب ، وكأنني
بها تشعر بأن قلبها البكر النقي الصافي أسمى من معاني الوجود

أو لعله صورة لذلك الذي يسمونه الخلود .

إنها عند ما ترفع بصرها الى السماء أو تتأمل الطير وهو يحلق في الفضاء أو تصنى الى همهمة الحشرات في الخفاء أو تستمع الى خفيف الأشجار عند دخول المساء أو ترقب الشروق أو تلمح الغروب — كأنها خلقت لتفهم معنى هذا وسر ذلك فترسم على وجهها ظلال كل معنى ولحاح كل سر .

تتنفس في طلاقة وتمدو في حرية وتتحرك في غير قيد أو حذر دون أن تخشى النظرات الفاسقة أو تخاف مشاكسة أصحاب القلوب المريضة والنفوس السقيمة .

انقطعت عنها لأسباب قاهرة ، وكانت هي وحدها ملء ذهني وخاطري . ولما تخلصت من قيودي جئتها قبيل الغروب وكنت ألقت المكان فلم أعد أخافه كأن حي لها جعل كل شيء حواليتها أحب الأشياء الى نفسي وبعث في قلبي الطمأنينة والهدوء ، جئتها وفي نيتي أن أتعرف إليها مهما كلفني الأمر من تواضع ودهاء وما كدت أقرب من الكوخ حتي لمحت شابا يتمشي في طريقها وييده كتاب يمر على صفحاته في عجلة بادية ثم يتلفت حواليه في

تعمن بطلء كانه يقارن بين لمحات الطبيعة البادية وبين كلمات
الكتاب المسطورة وظل كذلك حتى لمح عن بعد الراعية وهي
جالسة أمام الكوخ تشتغل في الغزل آناً وتحنو على صفار القطيع
أحياناً تهدهده وتناغيه بعواطف الأم التي تحبو صغارها
أعز ما في الحياة من بر وحنان

لا شك في أن هذا المشهد أذهش الشاب ، وقد استرعى نظره
إذ توقف عن المسير وأخذ يرقبها ثم تابع خطاه بين الأحجام والأقدام
سلطت الشمس أشعتها الذهبية قبل أن تودع الكون علي
وجه الراعية ووجه الشاب فاستطعت أن أقرأ خواطر نفسيهما التي
كشفت عنها الضوء الإلهي وأنا مختبئة في مكاني

هي آمنة مستسامة ، وهو حائر متسائل . . يظنها همجية
مستأنسة أو يحسبها انسية متوحشة لأن وقع خطاه المتردد يذبيء
عن نفس خائفة راغبة .

ولكن صورتها الهادئة الوديمة وبسمتها المشرقة النقية والشعاع
العلوي الذي أفاضه الله عليها ، كل هذه السمات كقوة جذب
تنزلت من فلك سماوي لتجذب ابن الأرض ، فتحفز الرجل في

نشاط وقد وثبت الرغبة من مكنها فدفعته اليها قفزا علي أنه عاد
وتراجع ولعله خجل وخاف ظناً منه أن تقدمه جرماً لا يليق به
الرجولة الوقورة وقد تفسره الراعية تفسيراً سيئاً

وعلي ذلك عاد أدراجه مفعم القلب بمأطفتين متناقضتين ،
الرغبة في تعرفها تدنيه منها والاعتداد برجولته والخوف منها
يقصياه عنها ، وهمس بصوت مسموع كأن نفسه تجسمت رجلاً
أمامه يماشيهِ : ما ضربي لو خاطبتها ، ألا يحتمل أن تكون هي
صحيفة مجلوة تفتح أمام الذهن أبواب الحقيقة اللامدركة
بدل الكتاب المعقد الذي يحتاج لقاموس ، وتوقف عن المسير
يرقب الكوخ وكان قد قطع مسافة طويلة دون وعي منه فبدا له
الكوخ كشارة معلقة بين الأرض والسماء وراعية كنجم
بارز وضاء يشير إلى مكان الضوء في الفضاء

وهنا انتابه شعور غامض لا يمكن إدراك كنهه فتوقف
مطرقاً . ثم التفت خلفه يتأملهُ . ثم سار بضع خطوات ، ثم تراجع
بضع خطوات ثم وقف يرقب الشمس وهي تغرب . ثم راح
يتمشي في هواده وبطء هامساً بصوت مسموع - يا للشيطان ، قد

تكون في حماية والد او زوج أو شقيق ، اذ لا يمكن مطلقاً امرأة
حدثه السن ناضرة المحيا أن تمشي وحدها في هذا القفر الموحش !
ثم ضحك ساخراً بغير صوت . واستأنف مسيره ، وفجأة توقف
والتفت خلفه ثم عاد ميمماً وجهه شطر الكوخ
وأحست الراعية بوجود غريب فانتفضت وتجهم وجهها الذي
اكسبته الشمس حرارة الحياة العليا ونقاء الطهر الصافي وشاع
القلق في كل نواحيها .

لا شك أنها تخاف ان يكون نفر من أهلها ، لذا انتصبت في دعر
وتلفتت في حذر ورغبة وبدأ لها الخلاء مثل كهف يكاد يتعلمها
وتجسم الفزع في كل مرئي وكل صوت بعد ان كانت كل المشاهد
حواليها كأطياف تجبوها بالحب والرعاية وكل الأصوات نغمات
موسيقية تبدد وحشة المكان وتملأه أنسا

يا لله . . أي رعب . أي فزع ، أي كارثة ستزل بها عن طريق
ذلك الذي بعثه القدر الغامض !

أحجم الرجل أخيراً وتنحي عن طريق الكوخ وراح يعدو
في عجلة كأنه يخاف مطاردة وحش يتعقبه بينا اختفت هي داخل

الكوخ بعد ان استودعت القطيع منامته . واختفى كل معنى لاعم
وعدت من حيث أتيت فلا اليها تحدث ؟ ولا سر ما وراء الغيب
أدركت .

* * *

عدت بعد أيام وقد جلست مليكة السماء على عرشها الذهبي مرسله
أسلاك الحياة الحارة الى الكون الزائم ليتيقظ كل عالم .
لمحت الراعية تروض قطيعها بالقرب من كوخها وكانت تتلفت
من حين الى حين كأنها علي موعد مع انسان ، لو لم يرسم الخوف
على وجهها لظننتها مترقبة لحبيب ، وما رأيتها شاردة ذاهلة كما رأيتها
وقتها ، ولما استقر بها المقام أمام كوخها كهادتها سحبت بأطراف
أناملها المغزل ، ولكنها لم تشتغل واستقر بصرها على الافق البعيد
في وجوم الحالمين ، وظلت كذلك حتي تنبّهت على وقع خطوات
« الرجل » الذي اتجه الي ناحيتها في غير تهيب ووقف أمامها في
تأدب دون ان يترك لها مجالاً للاختفاء وبأدورها بصوت خشن فيه
رنة الصلف والكبرياء : هل أجد عندك ماء ؟

فأسرعت ودخلت الكوخ في خفة الطير الرفيف وقد تورد

وجهرها حتى كاد الدم يطهر منه ثم عادت وقدمت له اناء به ماء وهي
تقول في ابتسام : يؤسفني ان الماء غير مكرر بآلة صناعية ، الا
أنه نظيف علي أية حال وهو مكرر بنوارة الثمر فذق مياه الزاهدين .
قالت ذلك بلهجة لا تخلو من عطف ظاهر ورقة ساذجة
وعذوبة محببة وتحفظ رزين

فتأفف وأبى هازأ رأسه في اشمعزاز قائلًا :

لا ضرورة ، لاني مريض والطبيب يحرم علي شرب الماء
العكر ، شكرا .

قالت : آه . تخاف الميكروب . وابتسمت في مرارة مردفة :
ممك الحق ، لان معدة أبناء الرفاهية أضعف من أن تقاوم
الطبيعة لتمسكها باهداب الصناعة ، هه . . اليس كذلك ؟
ونظرت اليه متهمكة ثم استطردت :

اذن خذ كوبا من اللبن . وأسرعت الي داخل الكوخ
فلم يتكلم ولعله بهت من حلاوتها الساحرة وصراحتها الطليقة ولما
قدمت له الكوب تناوله منها شاكراً مملقا فيها ليفسر لغزها من
عينها ثم أرخى جفونه ومد يده اليها ببعض دريهمات

فابتسمت في لطف ووداعة قائلة في تحفف وأباء :

المال لطلاب الحياة ولست منهم

قال في جد وأثقة : ولكن ذلك حقلك ؟

قالت في جد ورصانة : احتفظ به وقدمه لسائل محروم يمر

بك في الطريق أو اعتبر اللبن تحية هذا القطيع لك لزيارة واديه

قال : اذن نضع النقود هنا على الارض ولتكن من حظ من

يمر من العابدين !

فطت شفتيها وهزت كتفيها ولم تتكلم بمعنى : انت حر

وصافحها وسار في طريقه في صمت ورزانة

ظلت في مكانها تتابعه بنظراتها الساهمة ويدها ما زالت ممدودة

كانها تحس يده باقية تصافحها .

لأول مرة في تاريخ حياتها في هذا المكان يواجهها رجل

مؤدب ولأول مرة في تاريخ حياتها يخاطبها رجل في تأدب ووقار

بلا غاية ..

ما أسمى النبل والمروءة منهما تتمخض القسوة المعنوية التي

تصون الروح وتبعث الامل

كيف يقضي السجين أول ساعة ينطلق فيها من السجن
لقد كانت حرة - تشعر بذلك - لكنها كانت تعتقد إنها
اشتريت هذه الحرية بحياتها كلها ، وهي طاهرة . ولكنها تعتقد
أنها وحدها خالقة هذا الطهر وحارسته . . فما لها الآن تشعر بأن
روحها أقدر علي اجتياز الآفاق عن ذي قبل ، وما لها تحس بأن
طهرها أعمق وأبلغ من طهرها في أي ساعة مضت
لقد كانت تعتقد أنه لا يمكن أن يجتمع رجل وامرأة في
كنف الطهر ولا يمكن أن يخاطب الرجل المرأة بأسلوب الروح
وها هي اجتمعت بالرجل في جو الطهر وحادثها واستمع إليها بصوت
الصدق ، اذن في الحياة أيضاً رجل طاهر وصدق مكفول
ومرت الايام تباعا والرجل يأتي في مواعيد مختلفة يحوم بعيداً
كالطائر قانماً بنظرة خاطفة يلقيها عليها ثم يختفي في قابه الخلاء
كما يتلاشى الامل الحلو الوضاء وهي ترقبه في لهفة مهيثة له كوب
البن . . . ولكن عبثاً ، وقف القدر بينهما كحاجز لا يمكن
اجتيازه . . .

كانت صورتها الساهمة الواجحة تبعث الشجن في القلب الضاحك

اندفع الروح الى الروح وحن القلب الى القلب وتوثبت
العاطفة لتعانق العاطفة في غملة العقل الرزين ، فهل تراها آمنت
بأنها أحبت ذلك الرجل ؟

انها تشك ، وان كانت لا تجزم ايضاً بأنها نسيتها .
منهج حياتها لم يتبدل وعطفها على القطيع لم ينقص بل زاد
ودأبها على العمل المتواصل لم يعتوره خمول أو ركود ، وفي كل
صباح تفصل الكوب بعناية وتعلأه باللبن ثم تحتفظ به بالقرب
منها وتجلس امام كوخها تتلهي بفزلها ناظرة الى الطريق الذي
جاء منه منذ أيام .

اذن هي ذرة ضائعة في أفق الحب اللامحدود ، إما ان تذروها
الرياح أو تستقر على زهر عبق يفوح بالشذى المعطر .
وأخيراً على غير ارتقاب جاءها يطلب لبناً . . وكانت في ذاك
اليوم غير متأهبة للقياء أو لعلها تناسته . لأنها ارتجفت واضطربت
وغابت في الكوخ ثم عادت تحمل اليه اللبن في استحياء لأن
كميته قليلة

فأدرك الرجل بفطرته ان عقلها نسج خيوط التناسي ليلقي على

قلبها ستار الغفوة الكبرى فقال :

أخشى ان يكون هذا نصيبك .

فقات في لطف : أبدأ . انما المقدار قليل اذ لم يكن في حسابي

أنك حاضر . . وتلغشت وأطرقت .

فابتسم الرجل واتجه نحو القطيع يداعبه ثم اقترب منها ونظر

اليها في سكون أروع من يقظة الاغراء وقال : ما الذي جاء بك

اني هذه البقاع الجرداء وأنت صبية حسناء ؟

فمالت برأسها الى الامام في وجوم مملقة في القطيع الذي

انقطع ثغاؤه كأنه يتأملهما ويستمتع اليهما

ثم قالت : ما الذي نجنيه من حياة المدنية وضجيجها ؟ ما الذي

نجنيه من أباطيل الوجود ؟ لاشيء بالتأكيد ، اذن خير لنا

أن نفكر على قدر عقولنا في حياة تكفل لنا بقدر المستطاع

الأمن وراحة الضمير .

فضحك الرجل قائلاً : واذا كان جميع الناس على هذا الطراز

(طرازك التقشفي) فما الذي تجنيه الانسانية ايضاً ؟

قالت : على الاقل ، تخلو من التناوب والتنافر فترتدع الخلائق

عن الخصام والتقاتل !

فضحك طويلاً ضحكاً تشبه نغم القدر الساخر منها قائلاً : وهل
تظنين امتناعك عن مشاركة الناس أوضاعهم ورعاية تقاليدهم
ومشاركة وجدانهم يغير مجرى الحياة ؟

فقاطعته : طبعاً لا . إنما يسعدني أنا ويطمئنني

قال : اذن فأنت تلبسين مسوح الزهد إمعاناً في الانانية

قالت : وهل يمكن أن يتحرر الانسان من الانانية وهي من
الفرائض الثابتة فيه . أبداً ، إنما يمكن تحديد الانانية وتوجيهها
نحو النور بدل أن نغمرنا في الظلام ، فهناك فارق كبير بين انسان
يقتل انساناً ليسعد نفسه وبين آخر يجب لنفسه الخير ليتمتع كما
يحلو له دون أن يؤذي غيره ولا يكون كذلك الظالم الذي يحل
لنفسه الحرام ويحرم على الضعيف الحلال لانه علي الطغيان قادر ،
ولكى لا يقاسمه بعض متع الحياة . فينتقص حظه

فحملق فيها مشدوها وقد بدأ يتكشف دخيلة صدرها البعيد

الغور ، وتتم : هيه وأخيراً

قالت : سأعيش هنا حتى نهاية أيامي

قال : ومع من تميشين ؟

قالت : وحدي

فصمت قائلًا : وحدك ، وأين أهلك ؟

فأطرقت لتخني مدامها وغمغمت : لم يبق لي في الحياة أي

قلب حان يهمة أمري ويعني بشأني

فتألم وأحس بالمطف النبل يجتاز قلبه في سرعة أخف من

الآثير ولم يشأ أن يتحدث في هذا الشأن لكي لا يفتح جرحها

الدائم ويبعث في نفسها الألم والضني بعد سكونها وفهم من لهجة

أساها ودموعها أنها يتيمة وحيدة . واغتصب بسمه مريّة قائلًا :

عزائك في القطيع جميل ! لكن ألا تشمرين بوحشة الوحدة ؟

قالت : قلبي عامر .

قال : حسن .

قالت بصوت أشبه بنفثات حفيف الشجر عند ما يداعبه النسيم

وقت السحر ، فيه رعشة وفيه يقظة تحمل تقهّط الحياة في

استحياء : بالحلب

فدهش وحملق فيها قائلًا : وأين ذاك الحبيب

قالت : معنى

قال : ولكننى لم أره ؟ لقد جئت هنا كثيرا

قالت : يخيل الى أنك تتغابي لتستدرجنى ؟

وتلفت الرجل يمنة ويسرة كأنه يفتش عن الحبيب المعنى إلا أنها

لم تدعه فى حيرته اذ قالت :

أيمكنك أن ترى الله ؟ انه هو حبيبى ومن أجله جئت هنا وبه

أقنع بالحياة على صورتها الراهنة المتواضعة ، وعلى نوره أرى العراء

بريقا والوحشة أنسا وبهجة ثم أطرقت برأسها وقد تندت عيناها

بالدموع .

قال — وقد ملكته عاطفة مبهجة — قد يكون ذلك صحيحا

ولكن لا بد لك من تحديد هذا الحب أو تركيزه

فلم تفهم ما يعنيه وضغطت على شفرتها السفلى ناظرة اليه فى

أسف بمعنى انها حزينة لعدم تفهمه نفسيته ثم أردفت لزيدة ايضا حا

اننى أحب كل كائن لأننى أرى فيه سمة من سمات الله وأدرك منه

معنى من معانيه الجليلة .

ثم نظرت بعيدا كأنها تستلهم السماء وأعقبت :

أحب كل الكائنات لأنها تكون في مجموعها القوة
الالهية اللامدركة . كانت تتحدث وكل خالجة فيها تعبر بوضوح
عن صدق إيمانها . وكان في التماع عيذها واختلاج شفقتها معنى
صريح لعواطفها الصادقة وصمتت لتترك دموعها تتمم الكلام

فتمتم الرجل بعد طول اغراق بلمهجة المريب:
أعتقد أن الحرمان هو الذي دفعك الى هذا الايمان
ثم دار بنظره حواليه وعاد يحدق فيها قائلاً :

أصدقيني ألا تشعرين في أعماق نفسك بحاجة الى الف

مجهول ؟

قالت : لا والله

وكانت نظرتها كافية لذلك التوكيد لو اقتصر عليها

ثم أردفت :

في أعماق نفسي حلاوة أعذب من الطهر وأتقي من الصفاء

وبقدر حرمانني من الناس اتصل بالله وهو الذي يملأ قلبي

وكياني بنوره المقدس وحببه الجليل فما عساي أرجو ؟

لا شيء بالتأكيد

قال : ولكنك انسان لك غرازك ونزعاتك .

قالت : ماتت هذه الغراز واخترت تلك النزعات يوم ودعت
الحياة غير آسفة . ان الانسان لا يطلب الطعام ولا
يسعى اليه الا اذا جاع أما ومعدته عامرة بالغذاء فهو دائب
على التفكير في شيء آخر وأنا كما قلت لك قلبي عامر
بالايمان، وكياني مغمور بالحس الروحي الذي يبعث في نفسي
قوة أعذب من أى شهوة عارضة . لست في حاجة الى الحب
حتى أنشده . ولست في حاجة الى الانس حتى ارتجيه . .
وهنا أحس الرجل أن كلماتها بلغت شغاف قلبه وأن
ذلك المعين الحلو سكب في أعماقه خلاصة السلاف المشتهي .
وعادت تقول : اسمع . . لقد تذوقت كأس المرارة حتى الممالة
وكنت أستشف السم في شراب معسول تقدمه الى المدنية الزائفة ،
يوم كان يحاول أن يبتاع الرجل قلبي بكلمة أو يجذبني اليه
بفعل . . ذقت المر وتلمست العذاب واحترقت عواصلي بنار الجحود
آنا والظلم احيانا ، وقبل ان يغمرني الطوفان . . قبل ان أفقد
قوتي وشجاعتى . . وقبل أن يموت قلبي وتضل روحي ويضعف

إيماني .. هربت

فقطاطعها : كالجندي المخدول في الميدان يهرب من الضعف ولو
مقاتل حتى النهاية مات شهيداً أو عاش بطلا
فضحككت قائلة : أيقدم عنقه للسلاح ويقول هذا هو الجهاد ،
لا .. ليهرب بقوة كي يحارب عن طريق آخر : . ليصرخ بصوت
مجلجل ليث القوة في كل خامد

على ان المرأة ياسيدي لا يشفع لها في الحياة غير قوتها ، لو
أني استسلمت حتى النهاية لقالوا امرأة ساقطة ، ولا يفكر أي
إنسان في سر هذا السقوط ومن الذي حفر الهوة .. اسكت ،
اسكت .. هناك الضلال . هناك حرب طاغية بين الشهوات
والضمائر هناك تقاتل بين الأمن والخصام ، ولكن بدون سلاح ،
بقوة خفية يعينها الشيطان بأسلحته اللامرئية

وصمت الرجل لا عن جمود وبرود بل عن خوف وتردد ..
سكت الرجل لأن العاطفة الجارحة ثارت فود لو يضمها الى صدره
الى الأبد ، وأخيراً غمغم بصوت خفيض .. ما أنبل قلبك !!
لكن أيمكن ان يظل هذا القلب هكذا سامياً مجتهداً ..

والنسحب بعد أن صاخبها فى خشوع أقرب الى العبادة ، مليء
القلب بالاحساس العميق ، وقد تركها مغمورة بشعورها المجهول
وقلقها الرهيب

* * *

مرت الأيام تباعا وهى تتجنبه بقدر ما تتمناه وقد أدرك من
المرات الذى لقيها فيها أنه أحبها حباً جامحاً مشبوباً وكلامهم
بمصارحتها تحداه طهرها فى صمت

أتمها فتاة فقيرة كما يعتقد ، وهو رجل غني وجيه ، فكيف
يجتمعان ؟ ؟

لقد أحبها ، فهل الحب قادر على محاربة التقاليد والاضلاع .
هل يستطيع أن يتزوجها ويفاخر بهذا الزواج ؟ أيستطيع أن يقنع
والده العظيم بأنه لم يقترف أثماً بهذا الزواج ؟ ؟

وفكر الرجل طويلاً وأخيراً ظن أنه فى مقدوره ان يجمع
بينها وبين احترام التقاليد المرعية فلا يتزوجها خفية ليسعد قلبه
وليرضى والده بما يرضيه ، وحيال هذا الخاطر راح يفكر بعقل
الفيلسوف ويحلل قضية الحرب العنيفة بين التفضيلة والردية وظهور

هذه بلباس تلك وتلك برداء هذه حتى لم يعد في الامكان التفرقة
بين هذه وتلك .

الصدق فضيلة

الكذب رذيلة

انما متى تفهم حقيقة الصدق ، ومتى نعرف خفايا الكذب
متي ؟ . . . متي ؟ ؟ هذه المشكلة التي لن تحل أبداً الا بفناء العالم
انه صادق في حبها ولسكنه لا يستطيع أن يضمها اليه فلا بد
لذن من الكذب ، لكي لا يفقدها الى النهاية . اذا قال
لها أحبك فمضى ذلك أنه لا بد أن يقنع بها واذا قال لها
أنا موثوق بقيود التقاليد فمضى ذلك أنه لا يحبها . . . أي
معضلة ؟ ؟ أي معضلة ؟ ؟

وكما حاول أن يتحدث اليها في صراحة يشعر بان شبحاً
مخيفاً يهدده وينذره فيصمت ويقنع بالحديث العابر التافه
ولقد استطاعت الراحية أن تفهم في صمت ما يعانيه الرجل
من كبت وجهد وعناء فاشفقت وعطفت عليه . في تحفظ رزين .
أحبها ؟ لا تدري ا في عينيه جذوة الحب المتقد ، ولسكنه

جامد . بارد صامت ، اذن فهو مشغوف بأحدى عرائس الحضر
لا بد . . لا بد . .

وأمام هذا الخاطر تلاشى ما كان في صدرها من أمل
بعيد براق كان يلوح لها في أفق الاحلام ملتصعاً ذا قيمة
ومعني ، وقنعت بأن تراه سعيداً ، موفقاً .

يا للشيطان ! كيف يصور لها حاو الاحلام ، ويحاول أن
يفريها على التعلق بذلك الأنسان ، وعادت تستعيد وتستعين
بالهام الايمان ، حتى ذلك اليوم الذي مر عليها عابر السبيل
فوجدتها على غير ما عهد واجهة متجهمة مفكرة وكانت في هذه
الاعطاة في حاجة ماسة الى الترفيه عن نفسها ففرحت بحضور
المسكين وخرجت من جمودها مسبلة عليه ستر حنوها وعطفها
ومنيحته ما ادخرت له من زبد ولما لمحت غطاء رأسه ممزقا أعطته
غطاء من الصوف صنعته بيدها

وفهم المسكين من لهجتها الخافتة المتقطعة أنها مهمومة حزينة
فسألها : أراك اليوم يامولائي شبه حزينة أحدث ما جعل بهجة
نفسك تغرب الى حين . . ثم هز رأسه معقياً : لم تخلق بعدبواعث

الشروع التي تبعت في شروق قلبك ضباباً

فتمتعت وهل في الحياة ما يعنيني حتي آبه له ؟ انما يحزنني
تو جمع هذا الصغير ، وأشارت الى صغير من القطيع ، ولست
على مداراته قادرة أنظر ألا تراه يتألم كما يتألم الانسان اذا
داهمته الحمى أو المرض . ولست أدري سبب شكايته وباعث مرضه
مع اني حريصة جداً الحرس على القطيع . وسحبت المسكين
من يده وسارت به الى الصغير الشاكي . وراحت تمسح شعره
قائلة : قل لي ماذا أصنع . فأخذه منها وفتح فيه فوجد به
(شوكية) غرست في فكه . . ولما رغبها بيده استراح الصغير
وهذاً ونظر اليه كأنه يشكره . وانسحب المسكين راجياً لها ولقطيعها
كل خير وتركها مستأنسة بذلك الرباء !!

ولم يكد طيف المسكين يتوارى وراء الأشجار الكثيفة حتي
ظهر الرجل يدنو منها في عجة ولما واجهها انتفضت مذعورة إذ لم
تكن مترقبة ذاك اللقاء على أنه لم يترك لها فرصة لتبدو
بالكلام قائلاً :

هل اتخذت محرابك مأوى لمشافكت ؟

ثم ضحك متهاكاً وحلق فيها شذراً مردفاً :

الآن فهمت سر جنوحك للعزلة واتخاذك ذاك المأوى مهرباً
من نظم المجتمع التي تحرم الباطل ، وانقطع عن الكلام ليضحك
طويلاً ثم أردف :

ما أغباني ، كيف ظننتك ملكاً ، وكيف توهمت ان المرأة
يمكن ان تتحرر من غريزتها قانعة بإيمانها الروحي .. وسكت ليسترد
أنفاسه ولعله ترك لها فرصة للكلام فلم تثر ولم تتحرك ولم تبد أى
اعتراض بل ابتسمت في هدوء وظلت محتفظة برصانتها ولما أغاظه
جمودها قال : —

إلى هذا الحد أنت فاسدة ؟

فرفعت رأسها في أنفة وكبرياء ونظرت اليه في اطمئنان قائلة

بصوت خفيض رصين :

وماذا يضيرك ؟

فاشتد غيظه وصرخ في وجهها :

ولماذا خدعتنى !؟

فظلت محتفظة بهدوءها وثباتها وردمته بنظرة ساخرة ثم قالت :

انك لم تخسر أي شيء يا سيدى ولن تعاقب لأئى ، أنا
وحدى التى آخذ حظي من الجزاء ، وليكن علي أي صورة. فلوح
بيده ، وهز رأسه ثائراً وقد شعر أنه جرح في كرامته وان
هذه الفتاة لعبت بعقله وندم علي محادثتها بعض لحظات والتفكير
فيها بعض أيام وتجسست الصورة التى كانت في الأُمس صغيرة ، حقاً
لم تكن الخسارة هائلة لأنها لم تكن الفتاة التى يرتجىها .. ولكنه
كان يشق فيها . فإمر الخيبة في الثقة ، وقال بعد صمت ممض :
أأنتك حسبتنى ضريراً لا أبصر وتوغلت في الرذيلة ظناً منك
أنه لا يوجد هنا من يكشف أمرك .. ها ها ها ها . أليس
كذلك أيتها الزاهدة ؟

هنا لم تستطع علي الا هانة صبراً فقالت بلهجة حادة :
يا هذا ، انك لا تفهمنى ولا يمكن ان تفهمنى أبداً ، فاذهب في
طريقك فان الله الذى يعاقب المخطيء لا يترفق بسوء الظن ثم
ضحكت متهمكة مردفة :

أنا خدعة كما تقول وأنت حقيقة كما تظن فاذهب في طريق
الدنيا التى تحترم الحقائق التى علي شاكلتك . الحقائق التى نسجت

لها الأوهام وشاحاً براقاً يجذب الأبصار وما هي الا ومضات
البرق الخاطف تنذر بالرعد والريح العاصف المدمر لكل كائن لم
تثبت قدراً ثم إيمانه فيه ، اذهب ياسيدي آمنا وحسبك ، وتنصت
عنه ، فغضب وثار جنونه وصرخ :

ان أدعك أكذوبة في قلب ذاك الخلاء تحت حماية الرياء
المسبوك بمعدن الدهاء في شبه زهد

ثم تحول ناحية الكوخ وهدم أركانه ونثر محتوياته
فلم تأبه ولم تثر ولم تمنعه وراحت تضحك في طلاقة ثم أشارت
الى القطيع بعصاها فالتف حواليتها كأنه يحميها من سيطرة الرجل
الجائر، وسارت في طريقها في دعة ورزانة . فازداد حنقه لمدام اهتمامها
ووثب غيظه ليهاجمها فلحق بها واستوقفها قائلاً ؟

من هذا الرجل ؟

قالت في تودة بغير تلعم : افعل ما تجيزه نفسك الطائشة
ولكن لا تتدخل في شؤوني

قال : أنا لا تهمني شؤونك ، انما من واجبي أن أحارب
الذيلة في كل مكان

فضحكت ساخرة منه قائلة : أنت تحارب الرذيلة ، ومن
أنت ياسيدى ؟؟ يارب السموات ، أنت القادر تترك الناس تموت
بشرائعك على مسمع منك ، وأبناء الضلال يريدون محاربة الرذيلة
ثم تنفست الصعداء وأعقبت : قل لي كيف تحارب الرذيلة وأنت
نفسك تحيا بالرذيلة : يا الهى تعاليت وتباركت ، أنت وحدك
العليم بخفايا السرائر ؟

فقاطعها : لا تهربى من الجواب وقولى من هذا الرجل ؟
فرفعت وجهها الى الله فى توسل وخشوع قائلة : يارب
امنحني ثقتي بنفسى وصبري حتى النهاية وامنح يا الهى عبدك
المخطيء قبساً من نورك ليدرك على ضوءه حقيقة النفوس
قال مستخفاً : يمثل هذه السموة تريد أن تدافعى عن
نفسك !!

وهنا فقدت المرأة صبرها وملككتها كرامتها المهانة فقالت فى
حدة وتؤدة ، أيا الرجل انك لم تر ما يحل سوء ظنك ولو لم تكن
نفسك موبوءة لما اتهمتنى ، لماذا لم تهيم نفسك بالأثم عند ما
طارقت بابى ومحاولاتك التغرير بى بنظراتك وتهديداتك وكلماتك

في مهارة لتحملي علي الاستسلام لك من غير أن تسلم بأفك الراغب
ثم نظرت اليه مشمئزة وتركته في مكانه وقابضت خنطها ولم
تكذ تتحرك حتى لحقت عابر السبيل يمدو نحوها ينجر ساقيه في
بطء وجهه وقد أحني جذعه ووضع يده على قلبه كأنه يعاني الما
نمنا فتوقفت عن المسير لما واجهها قائلاً ،

سيدتي ، أشعر بألم شديد وأخشى أن يتف قلبني بغتة فاني
مصاب به كما أخبرني الاطباء فيما مضى ، ثم ارتمي علي الارض
في شبه اعياء وقد بلل العرق جبينه والتمعت عيناه

فتألمت الراحية له وعظفت عليه قائلة : فليل من اللبن يعيد
اليك عافيتك فلا شك أن ما أصابك من تأثير الجوع أو سوء
الهضم ، وحلبت له بعض اللبن وقدمته له

وبعد ان شرب اللبن انتظم قلبه وعأوده نشاطه فشكرها
ثم أطرق مفكراً ، ورفع وجهه اليها بعد برهة قائلاً بصوت
خفيض هادئ :
أصبحت أترقب الموت كل لحظة وأنا لا أخاف الموت هرباً من

ملاقة الله .. واكنني أخشي ان تفقد الطفلة التي أرهاها القلب
الوحيد الذي يحنو عليها ويعيش من أجلها ، ثم عاوده الوجوم
فأطرق .. وأخيراً قال :

مولائي .. تعرفين أنني عابر طريق بأس ، راكنني في الواقع
ابن امرأة ، افتتن بها وزير عجوز فزوجها قبل ان تبلغ
العشرين من عمرها ، اذ توفي والدي بعد ان وضعتني بشهور
فاحتضنتني جدتي لكي تنعم أمي بأطيب الحياة في منزل زوجها
الجديد ، باعت الابن بالزوج وارتضت الأناية دينا .. وراحت
الأم توهم الناس أنني شقيقها الصغير وأفهمتهم ان الوزير تزوجها
بكرراً . لم أفكر في هذا الأمر وقتئذ لان جدتي منحنتني حنانها
شاملاً وعطفها كاملاً وأولتني حباً ، الأم وأكثر .. حتي أنني
نسيت أمي بها ولم أعد أشعر لها بأي حب وبفضل رعاية جدتي
أتممت دراستي حتي النهاية وبدأت أواجه الحياة بعقل الرجل
وقلب الانسان ، ورحت أهبيء لي مكانا يكفل لي السعادة المرجوة
وأصبح لي من أمي أخوات لم أنعم بالحياة معهم .. زرت أمي
يوماً في عيد لأقدم لها ولأولادها هدايا العيد وكنت قد بلغت

شأواً محموداً .. وأثناء وجودي داخل الزوج مع بعض الزوار
فقدتني أمي لهم قائلة .. أخي

في هذه اللحظة فقط فهمت كل شيء . أمي تتبرأ مني من
أجل المظهر، من أجل الحياة من أجل العظمة المادية ، رباه أي
شعور تملكيني ، أي حقد ملأ جنبات نفسي ، خرجت أسير في
الطرق كالخبول ، أردد .. أمي .. أخي .. أمي .. أخي ..
أيها أصدق هل هي أمي أم أنا أخوها .. رباه .. رباه ..
عدت الى منزلي لأستوضح جدي حقيقة الأمر اذ بدأ
الشك يقتلني ، فقد أكون شقيقها حقاً . . .

أريد ان أعرف أن كانت جدي كذبت علي يوم أفهمتني ان
هذه المرأة البعيدة أمي؟ أو انها صديقة وأمي الكاذبة؟

دخلت عليها كالخبول اناديتها فلم اسمع لندائي جواباً ..
خرجت الجدة لتطيل من عذاب الشك ، تمشيت في المنزل شاردأ
واجماً .. أفكر وأتساءل ، وأبكي ، لأول مرة في حياتي بكيت ،
بكيت بكاء الرجولة القوية المخدولة !

وحفأة اصطدمت علي غير وعي بجسم ملقي على الأرض ..

من . . آه جدتي نائمة ، أيقظتها في جنون وقد اشتدت لهفتي
لتعرف الحقيقة . . فلم تنتبه . . رباة ، رباة . . ماتت جدتي ،
ذهب مفتاح السر ، أي هول . . أي مصاب . . أي بكاء يعينني
علي تخفيف بلاوي

أبلغت أمي أو أختي الخبر ، فجاءت ، ولم أدعها تفلت من
يدي بعد دفن الجدة العزيزة قبل أن تصارحني باليقين ، قلت لها:
أصدقيني ، هل أنت أمي أو أختي

فابتسمت المرأة كالحية الرقطاء ما أغرب سؤالك يا توفيق
قلت في جد ، أصدقيني قوليها كلمة واحدة ، أمي أو أختي
قالت : طبعاً أمك ، أتشك في ميلادك ، عندك شهادة الميلاد
قلت بصوت المفجوع وقد أصابني السهم في قلبي : كفي ، كفي !
اذن لماذا تحرمني متعة البنوة ، ألم أكن كنعناً لانتساب اليك ؟
قالت : لا يا توفيق — وصعب عليها أن تنادينني بياولدي ،
فحز ذلك في نفسي وآذاني وأثار كامن شجوني وأسأى —
انما زوجي لا يعرف وإذا عرف قد لا يغفر لي كذبي ، وإذا عرف
أولاده قد يخبرونه .

فوقفت في كبرياء ورمقتها بنظرة شذراء وقهقهت عالياً وقد
انتابتنى نوبة جنون وقلت : وانا ارفض اخوتك يا هذه ، لان المرأة
التي تتبرأ من ولدها لا يأنسها أخوها

وتركتها وهرولت في الشارع أعدو كالجنسودن ، أغمغم :
بالمال باعتنى فيجب أن أبيعها ، لا أذكر ما ذا حدث لي ! عشت
بضع أيام بغير وعى ، ورأيت الحياة تافهة لا قيمة لها

ثورة عنيفة اجتاحت كل أمن وسلام في نفسي ! كرهت
العالم كرهت الناس ، واسودت الحياة امام ناظري وأصبحت أنظر
الي كل شيء بنظرة مريية ، أشك في كل أم وفي كل أب وفي
كل أخ

وصمت ملياً يغالب أنفاسه ويصارع الموت كأنه يطمع في
الحياة وفتح عينيه وحلق فيها في هدوء وابتمسم ثم غمغم بصوت
متقطع غير مسموع :

ظلمت كذلك شريداً محموم المخ حتى ذلك اليوم الذي لقيني
فيه الشيخ المسكين الذي كنت تمنحينه بعض ما تملكين ، وركنت
أتمشى هنا هاربا من الناس ومن الضوضاء ومن المدينة ، ومد إلي

يده لي طالبني بدر ثم فأبيت ناظرا اليه في تنكر متخذا عنه ، فتلقى
المسكين اهاتني ببسمة فاترة ثم قال :

جرد نفسك من الرجولة لأن المرأة أفضل منك

فبلغت كلماته شفاف قلبي ورت عليه صاخاً : يا للشيطان ،
المرأة ، الضعيفة المسكينة ، الكسيرة الجناح ، أنا أتجرد من رجولتي
لأنها أحسن مني . فقال مؤكداً : أجل وأقسم لك .. ثم أشار الى
كوخك مردفاً : — هناك المرأة تعلم منها كيف الاحسان .

وصمت الجريج مرة أخرى ليعاني سكرة الموت ويقالب النزع
الأخير ثم أعقب في شبه ههمة .. لا أذكر كم من الايام مر علي ...
وأنا أحوم حول كوخك من بعيد ، من بعيد ، شاعراً بأن هناك
قوة خفية تجذبني اليك كطيف يعيش علي الارض مجنحاً وتوشجت
بيني وبين المسكين معرفة بددت ثورة نفسي وأحالتني الى طفل كاللحم
الوديح ومنه عرفت حكايتك

وسكت برهة ثم راح يتمم في عناء ، أحببتك .. أحببتك ،
ثم اقتديت بك وتركت الحياة بأكاذيبها لروادها وطلابها ،
ولجأت الي الاستجداء منك لأن نعم محدثك البريء أنا وعطفك

الطاهر أحيانا

وفتح عينيه في بلاء ونظير اليها بعينين دامعتين وقد بدأت
حركاته تتقبض وتتبسط ثم تقم : وداعاً يا ملاك الرحمة ، وداعاً
يا من غيرت عقيدتي في المرأة ، وداعاً يا من خلقت ملاكا في كيان
امرأة ، وشهق المسكين شهقة خرجت معها روحه
صرخت الراحلة : لا تمت ، لا تمت . عش سأرعاك

* * *

بحثت الراحلة عن الطفلة اليتيمة حتي عثرت عليها في كوخ متواضع
في عناية امرأة عجوز ، فأخذتها لتعبيدها وترعاها ونقلت كوخها
وقطيعها الى واد آخر لتكون بميدة عن بواعث شجنها وذكري
الميت الشهيد

سهرت على رعاية الطفل في حنان الأم الرعوم وقد عانت من
المرأة العجوز أنها ابنة امرأة مسكينة كانت تقطن بجوار كوخ
الميت الراحل ولما ماتت صعب على الرجل المسكين ان يترك الطفلة
تحت تصرف القدر الجائر فتيبناها وأخذها تحت حمايته ليرعاها
وراحت الراحلة تخاطب نفسها في شبهة همس : هذا القلب الكبير

والروح الجليل والمسكين الرحيم.. فهل يسمع الفنى ؟

أليسمع الفنى الذي يصم آذانه عن شكوى المتوجعين المنكوبين ؟

أليسمع الفنى الذى يصدم بسيارته الكسيتح فى الطريق فيمر به

عابراً ويتركه على حافة الموت

أليسمع الفنى الذي يغلق أبوابه عندما يسمع بموت أحد في

منزل جيرانه ؟

الله أكبر .. الله أكبر .. الله أكبر على الرحمة المفقودة والشفقة

المقبورة والواجب المجهول

مرت هذه السوانح بذهن الراعية التى تعرف ما يدور فى عالم

الأثرياء وما يجرى فى عالم الفقراء .. فأحبت الطفلة حباً يقرب من

العبادة وتناست بها كل مآسى الحياة غير آبهة بما يجول فى نفس

كل لئيم وما يوسوس به صدر كل شيطان آدمى رحيم

أولم يمر بها انسان ويلاحظ حنوها على الطفلة فينظر اليها في

ريبة ويقترب منها في ارتباب ويقول متهمكاً .. كان الأفضل ان

تضعى الطفلة فى مايجأ اليتامى لكى لا تكون سبباً فى حرمانك من

متع الحياة ، ويبتسم فى خبث .. فتفهم ما يعنيه وتعرض عنه دون

كلام ، وكان في مقدورها ان تبسق في وجهه أو تصفعه علي خده
ولكنها ترتفع بانسانيتها الي التسامح والأناة والعبر والاحتمال
لكي لا تعباً بأراجيف أبناء الأرض

ويعربها آخر فيحوم حولها كالدثب ويقول : ما أجمل الطفلة
انها تشبهك ، كيف غدرك والدها اللعين ، فياله من شقي أبله .
أقذف بها في وجهه وانتقمي لنفسك منه بالبحث عن سعادتك في
مكان آخر فيه تنعمين !!!..

رغم ذلك تضحك وتناق الطفلة تدغدغها وتناغيها وتداعبها
وتلعب طهر السماوات العلا في بسمتها وتلمع نور الحب العلوي في
عينها فالفة بذلك المغم من دنياها .

وهكذا حبست نفسها علي رعاية الطفلة وأعانها الايمان والصبر
على السلوى والاحتمال حتى جاءها الرجل الذي تناسته يتقدم اليها
في تهيب وتأدب ، ووقف أمامها كما يقف العابد أمام المحراب
يصلي بغير كلام

تجاهلته الراحية قائلة : ماذا تريد يا هذا ؟
قال بصوت خفيض كسير ، أنا ابن وهم الأمس الغابر جئت .

أحي ابنة الطهر الأُكيد

قالت : أوه .. أذكر أنني رأيتك ؟ لا أدري متى ؟ ولا

أين ؟ أتريد خدمة يا سيد ؟

فأحس بشعور يحجب قلبه في شبه نور اكتسح كل خوف

وتردد وهر صوتها على مسمعيه كنغمة علوية كأنها هابطة من

أفواه الملائكة المقربين وركع تحت قدميها قائلاً في خشوع :

يا أختاه امنحيني عفوك .. فوالله ما أسأت الظن بك إلا غير

عليك ومن فرط حبي فيك

قالت في جناء دون ان تنظر اليه :

أبقى عليك كرامتك فوالله ما خلقت الا للتسامح والصبر المبين

فبانت التوبة تلتهم في عيني الرجل كأنه أمام ربه يستغفره

ويسترضيه وقال :

حسبي ما عانيت ، لقد عذبنى ضميري وأحرقني بلهب التأنيب

وهأنذا جئتك بعد ان اغتسلت بدموعي فتطهرت من كل وهم

أثيم .. أتعرفين أنني أذهب كل أسبوع الى قبر الميت الشهيد أضع

على قبره المجهول زهور احتراحي وخشوعي اعترافاً مني بحميته ..

لقد انقشاني من بؤرة الظن المهلكة عندما حدثك عن مأساته ،
وأنا خلفك أستمع بقلب لو انبعثت حرارته منه لحرقني
أحترمت موته واحترمت حزنك ، نخلوت بنفسى استغفر الله
وظلمات بعيداً وحيداً سمعني غرقتي طيلة هذه الأيام التي مرت ،
حتى أحسست ان الله غفر لي خطيئتي
فابتسمت في لطف وقالت :

وإذا كان الله يغفر للمخطئين ألا أغفر أنا .. غفر الله لك ..
لقد غفرت .. وكيف لا أغفر ولي قلب امرأة ؟

* * *

توطدت الصداقة البريئة بين الرجل والراعية . والظنلة موضع
حنانها وعطفها وفي أديسة مقمرة كان يجالسا وقد غمرهما سكون
الحب الدفين .

وبعد أن غالب الرجل وجدانه قال . أيطول بنا العمر حتى
تؤدي رسالة الكل الى الكل ؟

فأجبت بأن روحه اجتازت صدرها في لطف حتى استقرت
على عرش قلبها العالى وشعرت برعشة الحياة تدب في كيائها وتوقظ

ميت وجدائها . فقالت والنموع تسببها . .

ان استطعت أن تنهمني غلبت بي القدر

فقال : امنحيني الحب وحسبي !

قالت : أطلب الحب ويعنيح ؟ كأنك تتصوره بيعاً وشراء . .

وضحكت في بساطة . . .

ثم أردفت : تجارة عاطفية اشترعوها في القرن العشرين ! اسمع
يا صاحبي ، أنا لا أعرف هذا الحب ولا أفهم لغته مطلقاً . ولست
أحاول تعرقه أو المخاطبة بأساو به فاذا عوفيت من أوهام العقل
وأضاليل الأحساس فهمت الحب

قال : أنا لا أجيد الحديث عن الحب وإنما أحسن الأحساس به

قالت : اذن أنت تفهمه فهل في مقدورك أن تعيش به وله

فبدت علي وجهه دلائل الحيرة والتردد وحاول أن يخفي ارتباكاً

قائلاً : بالتأكيد . . بالتأكيد

قالت : لقد نسيت أن أسألك كيف تعيش

قال : والدي (عمدة) هذه البلدة وليس له من البنين سواي

تعلمت حتى نلت أجازة الزراعة ولكنني فضلت أن استغل تعليمي

لخدمة بلدي واصلاح أرض ابى ، وفعلنا بدأت والحمد لله
النجاح حليفى .

فانطلق وجهها وصنفت بكلمات يديها فى قوة قائلة :
حسنا . . حسنا ثم تصافحته مردفة . . الالب فقط اعترف
ان الرجل الذي يعتمد على نفسه هو خير الرجال العاملين لوطنه .
وعادته تصافحه معقبة . من كل قلبى أهنيئك وأرجو لك التوفيق
المطرد والنجاح الدائم .

قال : اذن أنت راضية عنى .

قالت : كل الرضا

قال : آه لو احتفظت المرأة بطبيعتها أبداً ، يشيع من عينيها
بريق الامل الخلاب وتوحي شفيتها بظلال السحر الجذاب وتلهم
بموسيقى صوتهما أجمل الاغاني المذاب

ثم قبض على يدها فى حنان مردفا : انى أخاف

قالت : مم؟

قال : أن يكون فى ذاك الشراب قتلى . . فى عينيك عمق

الابد ، وعلى كلامك طابع الخلود

ثم أحس أن قوة خفية ألهمت عواطفه وأشعلت غريزته فارتعش واضطرب وبكى . .

ثم أخفى وجهه براحتيه وراح يحجش باكياً كالطفل الصغير .
فترفت به وعطفت عليه وقالت : ما الذي يبكيك ؟

فخجل من نفسه ونظر بعيداً ليخفي عواطفه الشائرة وبدأ على وجهه أثر الأفعال الممض فريحت الراحية وتلطفت به حانية رافعة رأسه يديها في رقة قائلة بصوت منغم حلو

افتح عينيك ودعني أتأمل فيها طويلاً !

لأطالع نشيد الصمت الرائع !

لأتبين حقيقة السر الهائل !

لأقرأ قصة الأبد في كلمة واحدة

لأرى ظلال الحلم الذاهب واليقظة الغافية !

افتح عينيك فقد بدأ كل شيء يتلاشى الآن معنى الحقيقة

المجسمة في قلبي

فغمغم وهو ما زال يخفي وجهه . ومن أنا حتى افتتح عيني في

عينيك . . لا تعذيني بدأت احترق ، ارحمني . . ارحمني . يارب

السجاء لو رفعتنا الى عرشك في هذه الساعة لكاننا بأهازيج أرق
من نسبات الفجر ولسبحنا بحمدك بكرة وأصيلا !

واكتنفهما سكون الخوف . فتمنيا لو يقف عقرب الساعة ويظل
كل مظهر في الوجود ثابتاً ثم طال صمتها . وقد ساعد ذلك الرجل
فقراً في عيذها المفروقتين بالدموع قصيدة الاستسلام
فاطمان وهدا . .

ولما مرت بعض لحظات . نام عقل المرأة لأن القلب بدأ يتنبه
وبدأت الغريزة تهمس في كل جراحة في الرجل ، تقدم . تقدم .
اشرب شراب الخلود قبل أن يتنبه العقل النائم .

وتحرك الرجل

فلم تتحرك المرأة .

واقترب منها فلم تبعد ، ونظر اليها في حرارة فنظرت اليه
في خوف واضطراب

قال امنحيني الحب صرفاً ، أمنحك حياتي وما أملك صدقا
وعادت الغريزة الطاغية تصرخ والشيطان يحلل له الباطل ويخدر
أعصابه بمخدر الثورة الجائعة

لم يكن في المسكان سواهما .

انه يحبها ويشعر بذلك غير كاذب ولا مرأى

وهي تحبه بدليل أنها تسامره وتناجيه وتتمنى لو تمنحه من

عواطفها أعز ما يرتجيه ..

وخبأه في غفوة الضمير الحلي ، قبلها ، وبدل أن يحس بالحرارة

التي كان يتخيلها أحس ببرودة العدم تسرى في شرايينه

رفع يديه في وجوم ، فسقط الجسم على الأرض صريعاً

وصدق الرجل لما ألمح شحوب الوجه بعد تورد كان يضاهي

الزهر النضير بهاءاً والجسم الفض الناعم في تهادب جسوم الأموات

وارمى علي الجسم يحركه فلم يتحرك . وتامس التنفس

فأدرك بعد عناء أنه بطيء خافت كأنه في النزع الأخير .

واعتقد أن في حياتها أمل !

نضجها بالماء فاستفاقت بعد عناء وفتحت عينيها في بقاء

واعياء مغفمة :

أما زلت هنا أميا القدر الجائر . ثم تكلفت بسمة أمر من المر

وأردفت ، يا الله . كيف انتهيت عندما بدأت ، وما لي مت عندما حييت

فركم عند قدميها باكياً وفي صوت مرتعش اشبه بهمة
النائم قال : لا تسليني لم جننت ؟ سلى نفسك ، لم صاغك الله من
من سحر ومنطوسة ، ولم خرجت من باطن الغيب لتأخذى مكانك في
قلبي وأي قوة قيدت روحك بروحي ؟ لا تسليني كيف فتنت بك ؟
سلى نفسك : اللمت انسانا استودع الله جسمي الرغبة كما
استودع قلبي الحب وروحي الايمان ؟ ؟

فاعتدلت في جاستها وقالت يا صاحبي : أنحب روحى اوجسمي
فتردد ملياً وفكر ثم قال :

أحب روحك ، ولكن لماذا لا أحبهما سوياً ما دام فى مقدوري
قالت : اسمع ، لا منفر من الاعتراف بأنى احبك ، لكن لا
يمكننى ان اشوه جلال الحب الروحى بلذة الجسم الوقتية . فان
احببتنى اخت روح فلك منى اكثر مما ترجو من الاخلاص والوفاء
وان طمعت فى بدنى ، لك دينك ولى دين ، فكر ، فكر جيداً
وسأترك لك فرصة يوم او يومان ، بل ايام ، فان قنعت بحبى
الروحي تعال القاك بقلبي صافى الايمان وان رجوتنى فتاة متعة
فلاذهب فى طريق الحياة يركاك الاله من تغرير الشيطان

وتركته حيث هو . وهروا لتوحيدته لتختفي في كوخها واعلم
كان في شبه غفوة لانه لم يلاحظ فرارها الا بعد ان خلا المكان منها

الرجل يحب كما يعتقد والمرأة جديرة بكل قلب وفي سبيلها
التضحية تهون !! لكنها لا تريد ان تعود الى دنيا الناس تطمع
في ان تظل في الصحراء وحيدة أو مع الرجل الذي يفضل الحياة
بجانبيها تاركاً وراء ظهره مغريات الوجود

لو عادت معه الى المدينة لاستطاع ان يعيش معها عيشة ممتعة
زاخرة بالمسرات

لقد حاول مرة ان يعود بها الى المدينة فأبت وقالت :
أمام الرجل الذي يحبني الحياة الدنيا بأكاذيبها وأنا بحقيقتي ،
فليختر أحدها فاذا فضل الدنيا بظواهرها فليذهب مع الشيطان
فلست له ، وان فضّلني فليعيش معي في هذه الارض نتذوق لذات
الروح ونرتشف من رحيق حبنا الساعي صنوف الخلد والنعيم
لا يجمع الانسان بين لذة المادة ومتعة الروح
من الأولى يرشف رحيق الذهب فيحترق بعد حين

ومن الثانية يتغذى من معين الجنة وهو مغموور بسحر النعيم

وقال لها مرة أخرى : لماذا لا تجمع بين المادة والحب ؟

فقلت : لو كانت المادة تُحفظ لي ككيان الحب لما ترددت في

السعي اليها ولكنها تقضي عليه . . ما عرفت انساناً أحب امرأة

غنية مثلاً وعاش معها بقلبه الى الأبد ، وما عرفت امرأة أحبت

رجلاً غنياً وعاشب معه بروحها الى النهاية وبقيني ان الحب يعرض

الانسان ما يفقده من لذة المادة

وانسرح الرجل في عالمها وراح يتخيلها طويلاً ثم احتوته شبه

غيبوبة أسامته ليأس مرير

انها عنيدة ولا يمكن ان تخضع له

وانتوي ان يغيب عنها محاولاً ان ينساها مادام عاجزاً عن

تحقيق رغبته ، فلا هو قادر علي مغادرة الحياة والا كتفاء بها ولا

هو يستطيع ان يخضعها لمشيئته ويحملها علي العودة الي دنيا الناس

بينما كانت الراحية تفكر أيضاً !!

أتراه صادق في حبه ، لو كان لهرع اليها وعاش في كنفها تحت

دوحة حبها الظليل ولكنه ككل رجل لا بد له ان يتمتع بكل شيء

وابتسمت مشمخة .. تجربة هائلة تريحني من عناء اختيار
رجل حبيب .. من يحبني لا يفرع من الوحشة هنا ولا يحس
الجوع بجاني

وحزت على شفتيها في حرارة وبكت في مرارة رافعة
وجهها الى السماء قائلة :—

أيصعب عليك يا رب ان تخلق لي رجلاً .. رجلاً واحداً يثابني
في الشعور والتفكير وكيف خلقتني وحدي يا رب ولقد خلقت
من كل شيء زوجين !

أنا لا أشتهي الرجل يا رب ولا يمكنني أحرار في تفهم السر
الذي استودع قلبي خلاصة الحب ولم يخلق لذلك القلب من
يتمتع بهذا الحب ويبادل له حباً بحب ؟
ألك حكمة لا أعرفها يا رب ??

ليتني أعرفها لأستريح وأنام الى الابد .. ليتني ..
ثم خافت ان يكون هذا التحدي كفراً فقامت تصلي مستغفرة
قائلة : أنت الذي أودعت بجانب قناعتي رغبتني وسجنت روحي
في كهف مادني

أنا لا أتملأ يا إلهي وقد زهدت في أباطيل الدنيا ، وليكنني
أحب ان أثبت وجودي

أحب ان أشعر بأنك خلقتني لغاية أسمى من غاية هذا الحيوان

* * *

ومرت الايام بطيئة متوازية وقد أصبح الرجل كومة
برق اختفت وعكفت على الطفلة تراها . الا أنت الطفلة
بدأت تشعر بغياب الرجل . وكانت افهمتها الراعية نزولا على رغبته
أنه والدها حتى ان الطفلة تعلقت به وراحت تنتظر أوبته ليحضر
اليها بعض الحلوى واللعب كما عودها .

قامت الطفلة في الصباح الباكر تنادي . أبي . أبي
وأيقظت الراعية ، أماء . أين أبي ، لقد غاب . متى يحضر
متي يحضر ؟

أي حنين دافق ينساب من قلب الطفلة الحلوة البريئة فينسكب
في حرارة الي قلب الراعية فيروي عطاشه وينبئه الي ما مضى
أماء . غاب أبي . متى يحضر . أين هو لأذهب اليه
فتضئها الراعية بعطف محاولة ان تخمد حرارة وجدانها

أى اسم حبيب خلصته الطفلة عليه . . فهل يسمع ؟ ؟ .

أى يبلغ حنين الطفلة الى قلبه فينبه ميت مشاعره ؟ ؟ .

لو أنها كانت تعرف أن الطفلة تتلف بقلبها وتحتفظ بكل شىء
في قلبها وترجو بقلبها . لما ربطت بينها وبين ذلك الرجل . .

وزادها ألما تعلق الطفلة بذكره وترديد اسمها وحنينها
الى لقائه . وهي عاجزة عن تحقيق أمنيتها

لذا أخذتها تسير بها في الخلاء على الطفلة تأسى هذا الحنين الملح
وامتدبها المسير حتى أشرفت على بلوغ القرية القريبة من الخلاء .
وهنا تراعى اليها صوت موسيقى تصدح صاحبة الطفلة على أثرها . أماء .
أتسمعين . صوت المزمارة . لا شك أن أبى هناك يسمعه . هيا نذهب
اليه لنراه . وهزتها في عنف كأنها تنبهها الى ما تقول وتدفعها الى
سرعة المسير . وسأرت الراحية الطفلة ترخية لها ولكي تهون عليها
شدة رغبتها والطفلة لا تنفك عن التردد . أبى . أبى . هناك
سنراه . انه يسمع المزمارة . والراحية صامتة تنظر اليها فى التبايع
حتى بلغت القرية فرأت أعلام الأفراح مبهمة كالأرواح

الخفاقة وقد اكسب السرور كل شيء صورة باهرة عليها طابع الفرح
والبهجة وسارت بها قدماها دون وعي تحت تأثير العطفة التي تقودها
مشيرة بيدها الصغيرة . من هنا . من هنا . كأنها الدليل
ثم توقفت عن المسير فجأة لازدحامه بجواهر الراقصين والمطربين
والمصنفين من الفلاحين .

وظاهرة الفرح في القرى أتقن ما عرف من مسرات خالية من
الشوائب والكلفة . من قلوبهم يفرحون ويكونون من الجماعات أسرة
واحدة . كأن فرح الفرد . فرح كل جماعة من البلدة
ووقفت خجلة تتأمل الفرحة الكبرى البادية على كل وجه
صغير وكبير على السواء .

والخفراء يشمتون الازدحام ويوسعون الطريق لسيارة
ازدانت بالورود والرياحين .

فهت من المشهد أنه موكب عرس . وتراءت لها السيارة كسفينة
تعبر بالمروسين من بحر يمجج بالناس الى طريق مجهول ، وكأن القدر
يحوم فوقهما مسبلا غلالة محلاة بالأمانى والأحلام ليبعد عنها
أشباح الوسوس والأوهام

وأخذت مكانها بين الجموع وقد ملكها شعور مريح فانتعشت
وتمت ليتمها لشوة أكيدة تخرج من فم المزمارة لتبلغ قلوب الناس
أجمعين . لتوحي اليهم بشعور النعيم

وصرخت الطفلة . أبي . أبي . . انه في السيارة . .

واشراأت الاعناق ليروا الطفلة التي تنادي . أبي . أبي - وقد

يادت على وجوههم دلائل الحيرة والتساءل ما معنى هذا النداء ! !





التشخيص

كانت مريضة بغير مرض ومعتقدة أن في جسمها جميع
ميكروبات الأمراض وهذه الميكروبات الكامنة تنبه تحت أي
تأثير خارجي

فاذا سعل مريض بذات الرئة أمامها سعلت وظنت أنها مصابة
بذات الداء

واذا تألم إنسان من دوار في رأسه أو شكا ألما في أذنه توجهت
وشكت كأنها مصابة بهذا وذاك

واذا غلت لها أنت بخير ولست مريضة وكل ما بك وهم يمكن
تلافيه بتركيز شعورك بأنك موفورة الصحة والعافية — واكدت
وأقسمت — بكنت وصرخت وصورتي لك الألم والعلّة في استسلام
فظيع يحملك على الصمت — لا اقتناعا بما زعمت — ولكن حزنا
على ما أصابها من وهم مريع
تئن وتتوجع دائما .

آه . عيني « وارمه » وتحقق في العين فتراها صحيحة
ياستي عينك سليمة .

عيني (وارمه) . عيني (وارمه) . تكرر ذلك في حدة
فاذا كنت ذكيا . تسكفت التصديق قائلا .

صحيح عينك (وارمه) . استريح قليلا . أريني عينك . (خف
الورم قليلا انظري ؟ . فتتنظر في المرأة قائلة . صحيح وبعد برهة .
تتكلف البشر . خلاص انحى الورم لا أثر له . انظري ...
فتعاود النظر فرحة : أشعر بذلك وهي بطبيعتها لم يحدث لها
أى تأثير انما الورم صور لها المرض وزواله

ويحدث ذلك ويتكرر في اليوم عدة مرات . مرة تشعر بالصمم
وأخري بعدم قدرتها على ابتلاع الطعام وأحيانا بانتفاخ رقبها
وقد تلزم فراشها لأن ساقها لا يقويان على الحركة .

لا تختلط بالناس إلا إذا دعتها الضرورة الملحة حريصة على ألا
أكل أي طعام أو تشرب أي شراب من إناء غير الاواني التي
خصصتها لنفسها معتمدة على نفسها في نظافتها والعناية بها
خاف الظلمة ويفزعها السكون ولا تنام إلا في الضوء وبالقرب

من نافذة مفتوحة حتى في الشتاء، بعد مدة طويلة تأنس الي من
يعاشرها فاذا انسجمت ظهرت بطبيعة المرح الأصيلة تضحك
وتمزح وتلعب كأنها طفلة طروب فاذا عاودها وهما بدت كامرأة
عجوز بحزنها وهما

تحترم الشريعة الاسلامية وتقديس الأوضاع الدينية لأنها
نشأت في بيئة تنتمسب الي أمير المؤمنين سيدنا علي كرم الله وجهه
ومن غير تكلف تحرص علي ستر جسمها ولا تبدى غير
أطرافها — واذا خرجت سترت وجهها بنقاب كثيف محاولة ألا
تنظر الي أي انسان في الطريق متجنبه التحديث لكي لا يسمع
صوتها أثناء مسيرها اعتقاداً منها أن ذلك جرماً لانهاية لفظاعته .
وهي في منزلها لا تملك من أمرها أي حق مشروع فلا تأكل إلا اذا
أمرت بتناول الطعام ولا تنام الا بعد الاستئذان من أبيها أو أمها
حالة طويلة القامة في غير نخافة شديدة ذات وجه متناسق بديع
بيضاء اللون ذات شعر ذهبي لامع طويل تلمع علي وجهها صفرة
لا تدرى ان كانت من انعكاس لون الشعر الأصفر أم من تأثير
الوهم الدفين .

لا تضحك الا نادراً واذا ضحكك قهقته بصوت منظم فيه
تموجات الخلاعة التي لا تصدر الا من البنات الخليعات، وهي لا تعتمد
ذلك . انما حنجرتها مصابة بهذه الرنة الظاهرة

تقيم الصلاة في أوقاتها وتؤدي الصوم بأحكام صارمة . فهي
في رمضان تحرم علي نفسها أشهى ألوان الطعام . ولا تناول غير
وجبة الإفطار قائمة بلون واحد تأكل البطاطس ولا تزيد عليه
نوعاً آخر وتظل تناوله كله يوم حتي تشعر بتلبك المعدة فتتركه
مستعصية عنه بالاسفاناخ وهكذا لا تترك النوع إلا بعد أن
تغافه أو تعرض منه وهي لا تتأثر بنصحك أبداً . أبداً .

تمجز مهما كنت ذكياً محتالاً عن تفهم تسميتها أو تعرف حقيقة
ميولها ونزعاتها .

مؤمنة صالحة محتشمة خجولة ولكنها تجيد الرقص والضحك
واللهب وتتحدث في أي موضوع هزلي أو جدي في بساطة محببة
وهي من هذا الطراز النسوي المحبوب الذي لا تعمل مسائره ولا تكره
معاشرته .

على هذه الحال قضت من عمرها عشرين ربيعاً لها في كل يوم

علة جديدة تظهر وما هي بعيلة ولكنها تتوهم ، واشتد بها الوهم
فأساءها الى المضعف والهزال حتى خاف والدها أن تكون مصابة
بمرض خبيث فعرض الأمر على صحابه المقربين ليسألهم عن طبيب
مذهب أمين . . وقال أقربهم اليه أخيراً : — أعرف طبيباً ماهراً
اعتزل الطب منذ سنين وهو يعيش بمهزل عن الحياة قائماً بما يقنمه
من زراعتة وهو رجل طيب شريف ثم أنه يعالج أصدقاءه المقربين
باخلاص دون أجر وعلي ذلك تم الاتفاق علي أن يصحبه مع ابنته
ليقدمها الى صديقه الطبيب . .

...

الرجل والمرأة خاضعان لنواميس الطبيعة فكل نظرة تقع على
المرأة طبيعية من الرجل ولها الباعث ثم الأثر في الاثنين
وتختلف هذه النظرة باختلاف شهور الرجل فقد تكون موجهة
الى الناحية الجسدية المادية وقد توجه الى روحها المعنوية
ولعل النظرة المادية هي المحور الذي يدور عليه تعارف الجنسين
أما الذي يتجاوز هذا الطور — طور المادة — فانه لا يقنع بالكفاف
بل يتخطي الحاجز البشري الى الفؤاد متغلغلاً في تلافيفه طامعاً في

الروح ، يطمع في احتلال الذهن والذاكرة والخيال والفؤاد
يحاول محو ما فيها من الصور والمؤثرات ليبقى عليها ظلة وحده
والصلة المادية التي تربط بين المرأة والرجل ، رابطة غير ثابتة
اذ تزورها الغيرة ويلاشيها عدم الثقة ويضعف من لحمها وملذاتها
طول الزمن أما الصلة الروحية فهي رابطة متينة ثابتة تربط الروحين
وقوة جليلة تصل بين القلبين لأزواجه الماديات ولا الانفعالات
وتكون أظهر وأسمى جميع العلاقات ، لا تكتسبها الطواريء
ولا تزلزلها بواعث الأزواج ، اذ هي الكفاية بين انبعاث النفس للنفس
إذ أن تنبه العاطفة للعاطفة فيه تركيز للارتياح والثقة فيحل الحنان
الهاديء مكان الشوق العاصف والاشفاق الوديع مكان التفزز
الوثاب وهذه العاطفة تضمن البقاء وتبعث على الاطمئنان في هدوء
لأنها من أظهر أنواع الحب وأنقاه - صلة بين الروحين أو لحة بين
العاطفتين تقوى على الطواريء والمصائب
فاذا ارتفع الانسان بفرائزه اني الروحانية فلن يحول بينه وبين
السمو بانسانيته حاجز مادي
واذا أنكر العالم هذه الحقيقة فلا أنه عاجز عن السمو بروحانيته

كثيف بحيوانيته

وحسب الانسان من هذا الشعور الجميل أن يؤنس في وحشته
وعلاً ذهنه بأجل الأحلام قانعاً في خلوته بتنبه العاطفة للذكرى
ويعتد على الارتياح وثوقه من سيال العطف الروحي يغمره وتيار
الحنان ينساب في فؤاده من قرب أو بعد — فكلمة للعزاء تصدر
عن حنان أقوى تأثيراً في مصدر العاطفة من مطارحة عن اشتياق
نحن نكد للارتقاء بالثقافة والأدب ونجد الى الكمال فما

الذي يبذل الوجهة في أشواط العاطفة ؟ ؟

لماذا لا نرقى في هذه الناحية أيضاً ؟ ؟

فنطلب الارتقاء عن مصاف العامة بتطهير السبيل والوسيلة

والغاية لنرقى بالحب عن الحيوانية ؟ ؟ .

الكهرباء تنتج في سكون فلا تري ؟

فلماذا لا تكون العلاقة الروحية بين الجنسين من هذا النوع

الساكن غير المنظور ؟ .

نظرة هادئة . هي رسول لاسلكي بين الفؤادين وابتسامة غير

منظورة رسالة واضحة بين عاطفتين وغمضة لا تدركها الأبصار

تكشف للبصر عن البواطن وخفايا الجوانح

وجميع هذه الدلالات الخفية الواضحة نجدها في الصلة الخالدة

بين الروحين بدون قوة التأثير في عالم المادة والضجة الكاشفة .

بهذه الخواطر شغلت الفتاة ذهنها عندما قرأت ذلك في إحدى

الصحف لآنسة أدبية .

ولأول مرة في حياتها تقرأ مثل هذا الكلام. ولقد استطاعت

أن تطالع خلسة في غرفة الانتظار عندما ذهبت مع والدها إلى

منزل الطبيب. وقد تركها الوالد ليخلو أولاً بالطبيب - لأن والدها

يحرم عليها مطالعة المجلات والصحف والكتب التي لا تبحث في

الدين ، وذلك لكي لا تتعلم أباطيل المجتمع مما ينشر ولكنه لم

يستطع أن يحرم على الغريزة محاولة تعرف المجهول وتفهم المحرم !!

لقد تعلمت في إحدى المدارس الأولية ثم حبسها والدها في

الدار مكتفياً بما أملت به من مبادئ القراءة والكتابة لتستعين بما

عرفت على تعلم أصول الدين وقد أفادها الاطلاع في كتب الدين

إلى حد ما .

لكن الغريزة لا تقاوم . أبداً . أبداً .

والطبيعة لها طريقها المرسوم منذ الازل تسير فيه الانسان
 رغمًا عنه . ولأن الفتاة لم تتعبد مطالعة الدراسات العاطفية وكل
 ما تعرفه عن الحب أنه جريمة محرمة . بدأت تحس بأن هناك نوعاً
 آخر من الحب . ولكن عقلها الذي ألف المجاعة الروحية لم يتأثر
 بهذا الاحساس الغامض وهيمن على مشاعرها وأوحى اليها بأن
 الحب على أي صورة إثم مبين لذا قام صراع بين القلب الذي بدأ
 يتنبه وبين العقل الراكد . القلب تسليح بالفريزة والفريزة توضح
 بغير لغة رسوم الحب في جمال مغر والاحساس يحسم كل صورة
 ويحفز لها في ذهنها ثورة عميقة . حتي تنازعت تعاليم الدين المكتسبة
 مع أحاسيس الفريزة .

وراح العقل يدافع بمنطق لبق ليصون الفتاة من الفواية . .
 قائلاً بأسلوب الدين — الجنة لمن اتخذ كبت الغرائز ديناً .
 وارتاحت الفتاة لهذا الخاطر وتركت ايمانها يهيمس في صدرها الجنة لمن حكم
 غرائزه . وقبض على زمامها فلا يسف . الجنة لمن يواجه الله ولا يحترق ،
 ليست الفضيلة في أن تحتجب عن مغريات الرذيلة لتتحصن بالايان
 في الظلام ، بل الفضيلة أن تقاتل الرذيلة بسلاح الارادة والايان

وعاد القلب يخفق راجيا • غذاء الروح • والروح مقيدة
لا تستطيع حرا كما لا أنها تعيش في جو خائق ! ! •
واشتد العراك بين العقل والقلب في صدر الفتاة ولكنها لم
تفقه كنه هذا التناحر لأنها لم تألف اشتجار مثل هذه الخواطر
غير أنها استسلمت رغما عنها الى شعور مبهم فيه حنين الى شيء
مجهول ! ! •

عاه حنين الشباب الى الشباب • أو حنين القلب الى القلب
انها تشعر بأنها في حاجة الى شيء يطمئن قلبها ويهدئ روحها
ولكن لا تدري ما هو هذا الشيء ؟ •

وعاد الوالد ومعه الطبيب • فتكلفت الفتاة الهدوء والاستكانة
ولما سأها الطبيب في لطف عما يعترها من نوبات وما تشعر
به من آلام • أخرس التهيّب لسانها لان هذه أول مرة تلتقي
برجل غريب وتخطب رجلا غريبا وفي اضطراب وتلثم بعد ان
استجمعت كل شجاعتها قالت بصوت خفيض : كل جسمي - ففهم
الطبيب من نظراتها الزائفة وحر كاتها القلقة وشحوب وجهها أن بها
علة دفيئة فطلب اليها أن تكشف عن مصدرها - الى حد ما - لكي

يختبر قلبها وظهرها فريمت وتراجعت ونظرت اليه دهشة متمنعة
كيف ترى صدري وظهري . لا لا . هذا لا يمكن أبداً . أبداً
فأمرها الوالد أن تخضع لمشيئة الطبيب اذ لا بد من ذلك .
وهزت الفتاة كتفها ممانعة . فعاد الوالد يأمر في عنف حتي
استسلمت وهي باكية

فأشفق الطبيب على الجمال الذابل حليف الوهم القاتل وعطف
عليها ثم أفهم الوالد على مسمع منها أن ابنته مصابة بالوهم وهي في
حاجة ماسة الي الرياضة واستنشاق الهواء النقي وتناول الطعام المغذى
ومشاهدة كل ما يجلب السرور والبهجة لها .

وانصرف الوالد وهو يفكر في أوامر الطبيب . كان أيسر
عنده أن يدفع عشرة جنيهات أو يزيد ثمناً للدواء بدل أن تخرج
للرياضة واستنشاق الهواء في الحدائق والطرق التي أصبحت بتأثير
الحرية المطلقة أشبه بمجمع يعلم الناس الاضاليل ويبيع لهم كل
مخدور . واستعاد الشيخ صور المآسي والمصائب فارتعد وانتفض .
وفضل حبه بابنته أن ينفذ تعاليم الطبيب في حرص وحذر . ولكن
ذلك سيدتطلب منه تضحية وقته الذي أوقفه على تعليم تلاميذه في

مسجد الحسين رضي الله عنه .

ولما أختلي بالأم وقص عليها الخبر أشفقت على أبنيتها وخافت
أن تموت تحت نير التقاليد وقد كانت الأم قبل أن تزوج تتمتع
بحياتها وحريتها الى حد ما وفي مقدورها أن تقارن بين حياة وحياة
حياة الحرية المعقولة وحياة السجن الخانق ولذا استطاعت أن
تقنع زوجها بضرورة رياضة البنت . . . وليكن ذلك مع الخادم أو
الاخ بدن أن يعطل نفسه ويضيع وقته — ويعد جهد أثرت على
الابنة التي مانعت في الخروج أولاً واستسلمت لنصائح الأم .

خرجت الفتاة من الظلام الى النور دون أن تنهياً لمواجهة النور
خرجت خلية الذهن من كل شيء يعلمها الحرص والحذر هي تعلم
حقاً بما ترمى الى أذنيها من صديقاتها القريبات أن الشبان تفر
بالبنات .

ولكنها ساذجة . . . جاهلة . . . بريئة . . . لم تلاحظ عن كذب
كيف تفتحهم الرجال قلوب المحصنات .

كل شيء في الحياة بدا أمام ناظريها جديدا مغريا جميلا
وبدأت تفهم الحياة بمقدار ما تبعته من المسرة في نفسها وراحت
تعب من معين الأمانى راجية أن تكون مثل هذه الغادة الهيناء
التي تسير كالغزال في الطريق أو مثل هذه الكاعب الحسنة التي
تركب إحدى السيارات في زهو وكبرياء . .

بدأت الرغبة تلعب دورها علي مسرح ذهنها وتيقظت
أحلامها وتخفى قلبها لليقظة . . .

وقد حرصت على الخروج كل يوم أحيانا مع الخادم
أو الأخ وأحيانا أخرى بمفردها إذا انشغل هذا وتغيب ذاك

والوالدة لا تري غضاضة في خروجها وحدها فقد كانت هي
تخرج من قبل وحدها وصحة ابنتها أحب اليها من التقاليد
والأوضاع وأحق من احترام تعاليم الوجود ان مانعت هذه التعاليم
في رياضتها .

خرجت الفتاة خلية الذهن من اللؤم والخداع جاهلة أساليب

بالكذب والنفاق تحسب كل الأمور تجري بطبيعة الصدق
والصراحة . وبدأت تتعثر في الطريق كلما عاكسها متطفل جرىء
والكنها لم تحجم عن الخروج لأن الحياة الخارجية تكشفت لها عن
روعة لم تتلمسها داخل دارها .

وبعد أيام تحسنت صحتها ففرح الوالد واطمأنت الأم وتفاءلت
الابنة بمستقبل بهيج ولم لا تتفاءل وقد كانت تظن من قبل أنها
ستموت قريباً أما اليوم فهي تشمع بالحياة . والقوة وتامح وجنتيها
المتوردتين في المرأة فتطرب وتتفاءل .

وهي في الطريق موضع نظرات كل من يمر بها وإن كانت
لا تدري أهذه النظرات من فرط الإعجاب بجمالها . أو سخرية
من احتشامها فإنها مازالت تحتفظ باللباس المحتشم والخمار السميك
على أنها استطاعت أن ترفعه في الظلام وفي الخلاء . ولشد ما كان
يبهجها التنفس الطليق

وبينما كانت سائرة ذات يوم وحدها ضلت الطريق فراحت
تنتقل من شارع الى آخر لتخرج من المأزق حتي لحثت عن كسب
مزل الطبيب وسرعان ما مر بذهنها طيفه فتوقفت مترددة حياء

فكرة خالجتها . يمكنها أن تسأله من اين تسير الى منزلها وتنتهر
الفرصة لتقدم اليه الشكر الجزيل علي حسن صنيعة

أتذهب اليه ؟ قد يسيء الظن بها !! ..

أتواصل المسير وهي تجهل الطريق ؟ نخشى ان يطول بها التعثر
أنسأل أحد المارة ؟ قد يشاكسها

أترك عربة توصلها الى المنزل ؟ لا تطمئن الى الحوذي
في كل فكرة تراءت لها أشباح مساوئها مجسمة فخافت
وارتمدت واحجمت

أخيراً لمحت الطبيب يطل من الشرفة ناظراً اليها
لقد رآها بلا شك . أتذهب اليه ؟ خير لها ألا تذهب لكي
تحتفظ بكرامتها

وطال بها الوقوف بين الاقدام والاحجام . حتى سمعت صوتاً
خفياً يقول - هل سيدتي في حاجة الى خدمة ؟ .

والتفتت فرأت خادم الطبيب

فتأهبت لكي تقول له . أريد ان أذهب الى منزلي لأنني
ضللت الطريق . ولمكنها لم تقل بل سارت معه الى منزل الطبيب

الذى ظل في موقعه يرقبها

دخلت عليه متهيبة مترددة وقد أكسبها الخجل روعة وجمالا
فاستقبلها في لطف وحياءها في أدب وسأها عن صحتها وما كادت
ترفع الحمار حتى قال . صحتك جيدة . جيدة جداً ولقد أكسبتك
الصحة جمالا أخذاً ناظراً

وأطرقت الفتاة خجلة مضغمة . بفضلك يادكتور . ألف شكر
لك وطلب اليها أن تستريح قليلا . فترددت قائلة . أريد أن انصرف
فهل لك أن تدانى علي طريق منزلي لأتني ضلته . خفت ان اركب
عربة فيحدث لى ما يحدث للفتيات أحيانا لأن السائق لا يؤمن
بجانبه في كل الاحوال . كما يقولون . وخفت أن أسأل أحد المارة
فيفسر سؤالي تفسيراً سيئاً فيتبعني كما حدث لأحدى قريباتي وخفت
أن أحضر اليك لما رأيت منزلك فتظننى متطفله . . ثم أطرقت
خجلاً . .

فقال في لطف وتواضع . أبداً بل كان يسرني أن تأتي إلى
من تلقاء نفسك لأنك بخوفك منى وضعتني في قائمة الآخرين
فارتبكت الفتاة وودت لو تقول شيئاً ولكن منطقها لم يسعفها

فصمتت عن عى وحيرة وخجل

فأدرك الطبيب ما دار بخلدّها فقال . في الواقع خروجك
وحدك خطر فكيف أباح والدك الشيخ لك ذلك ؟؟..

فريعت الفتاة . وقالت . اشئ علي سفر والخادم مشغول وأني
لا أعلم بخروجي وحدي ، وأنا طبعا أعرف كيف أصون نفسي .
فابتسم الطبيب قائلاً . جميل أن تثقي بنفسك وتعتمدى علي
ارادتك وقوتك . ولكن حذار من الذئاب والشياطين

انهم ينصبون الشباك حول الفتاة بمهارة فائقة ويلقون الحب
في طريقك ذو لون مفر وشكل جميل وطعم لذيذ فاذا التقطته تحذرت
أعصابك واستسامت . ومتى استسامت وتلاشت ارادتك وأصبحت
كالاخريات اللاهيات . أنا أنصحك بعدم الخروج وحدك لان البيئة
لم تهينك منذ الصغر - كما علمت من صديقي - لمواجهة ضجيج الحياة
وأكاذيب المجتمع ولم تسلمك سلاح الدفاع والحكمة لتحاربى بها
كل مقتحم لثيم .

انهم يلوحون بمصاص الحب أمام أنظار الفتيات فاذا جذب الضوء
عيون الحسان سرن علي ضوءه في الطريق وهذا الحب الصناعي

خدعة كبرى . فحذار حذار

فانزعجت عندما سمعت كلمة - الحب - وارتعشت وقد بدت
حمرة الخجل على محياها الجميل وقالت بصوت خفيض - أنا لا أعرف
ذلك الذي يسمونه الحب !

فتنهذ الطبيب وقال - عل ذلك من بوائث نعيمك وان
كانوا يقولون . الحياة بغير حب جهنم وبالحب جنة ونعيم . وتنفس
الصعداء ثم أعقب . وقد يكون ذلك صحيحا لو لم يفسده بشرور
النفس الامارة بالسوء

فريعت الفتاة وغمغمت - ولم تكون أشرار أو في وسعنا أن نكون
أخياراً فقال لها بصوت هادىء رزين . ان الانانية والجشع مبعث
كل اثم . والحرب الطاغية التى تقوم بين أمة وأمة كالعصداق أو
الخصام الذى يقوم بين نفس ونفس

فقاطعت الفتاة فى سذاجة . انهم يعاموننا الأضاليل والمجون
باسم الادب والحرية . لقد قرأت فى صحيفة كانت هنا عندك فى
غرفة الاستقبال يوم جئتك بحثا طويلا ودراسة وافية عن الحب
ألا يعلم ذلك النفوس البريئة ما لم تعلم من اثم وجهتان

فضحكك الطبيب لسذاجتها قائلاً - الكاتب يا آنستي يكتب
ليصلح وينشر ليرشد . فالذنب اذن ذنب القارئ الذي يفهم الادب
بظواهر الالفاظ كالطفل الذي يخلط بين بريق الذهب والنحاس
ولا يستطيع أن يفرق بينهما . كل شيء في الحياة يا آنستي تلونه
النفوس بأصباغ شعورها ويكسبه الذهن طعم حلاوته أو مرارته أي
جهله أو عرفانه فاذا عرفت ذلك - عرفت أن الحقائق ضائعة في
غياهب النفوس افهمت ! ؟ .

فهزت الفتاة رأسها متألماً وتجهم وجهها وغمغمت قائلة : انك
تخيفني من الناس جميعاً

قال : نعم أدعوك الي الخوف منهم ولا تطمئي الى أي بشري
حتى ولو لبس مسوح الراهب أو الناسك أو الزاهد وفكري دائماً
في ان الرجل ذئب والمرأة فريسته الذي يبحث عنها في كل مكان وهو
لا يقنع بفريسة واحدة ملكاً خالصاً له . بل يشتهي دائماً ان يعب
من دم كل فريسة ومع الاسف فريسته ذات دم معطر يجذب الذئب
من بعيد

وهنا خافت الفتاة فوقفت رافعة وجهها الى الله قائلة : رحمتك

يا الهى . لماذا خلقتنا اذن يارب ؟ لقد طبعت على مخلوقاتك بعض
سماتك فهل يمكن أن يكون الانسان وغداً حقيراً وفيه قبس من
نورك ؟

فقاطعها الطبيب . أنت ملك . وأرجو الله مخلصاً أن يحفظ
لك نظرك . وأنت يبعد عنك وسوسة الشياطين وإيماوز الكائدين
لقد ذكرتني بالروح الطاهر الذي فقدته وأخفى وجهه ليوارى دموعه
فتراجعت الفتاة وقد أيقظ حزنه البادى عطفها وقالت . أي
عزيز فقدته ؟

فتنفس الطبيب بمرارة واستطرد . روح كروحك لها طهر
السموات العلا قالت . أختك

فتنهده وهو يغالب دموعه . الروح التى هدتنى وأضلتنى
فنظرت اليه دهشه ثم قالت : اذا أساءت اليك بقدر ما أحسنت!
لكن كيف يتفق الاحسان مع الاساءه ؟
فقال في تأدب وهدوء . أسمحين بالجلوس بضع لحظات ؟

اني أحس أنها أمامي ولو لم يكن البعث آية لظننتها بعثت اليوم من
جديد آه . أشعر الآن بأنني أعيش في الماضي مغموراً بأحب
الأنفاس الطاهرة العابقة

وهنا لمحت الفتاة ظلال الأسي مرتسمة على وجهه في شبه كلمات
من الغنوء تجذب قلبها في اين لطيف فمطفت عليه دون كافة قائلة
أترى فقدت أختك أو - وشاءت أن تقول أمك لكنها خافت أن
تكون أمه حيه فيؤلمه ذلك التخمين

قال : لقد فتحت شغاف قلبي الآن بطهرتك . لذا أريد أن
أتنفس . اريد أن أروح عن نفسي التي لها الحزن في بردي العذاب
منذ أعوام - فليتك يا أنسى على تفهم ما أقول قديرة ؟ ؟
فقاطعته . لست غبية يادكتور !

قال : في الواقع أنا في حاجة الي من يسمعي بقلب لم تشغله
شواغل الحياة ولعل القدر بعثك اليوم الي - فشكراً لله ولك والآن
اسمعي لتعرفي أن حظ النفس الطاهرة في الوجود الحرمان والعذاب
وأن الشيطان لا يحلوه الا محاربة الأظهار

...

كنت طالبا بالمدرسة الثانوية يوم مرضت ابنة جارنا الفقير.
و كنت شغوفا بمراقبة هذه العائلة من نافذة غرفتي التي تشرف
عليهم وتكشف خباياهم

لذا سهل على معرفة ما يعانيه أهل المريضة من عسر وضيق حتى
صعب على الوالد أن يعالج ابنته بوساطة طبيب نبيل يتطوع
لعلاجها بغير أجر

وضرب الدكتور جبينه بيده كأنه يبعد عن ذهنه ذكرى
مؤلمة ثم استطرد . ما زلت أذكر يوم ذهبت للرجل قائلا : ألم
تستدع لابنتك طبيبا؟

فقال : وكيف أقدر على الطبيب الذي يأتي أن يتحرك من
منزله الا بعد أن أقدم له ما يرجو من المال . هل اكذب؟ هل أسرق؟
هل أغش؟ لا يمكنني أن أكون لصا وقد ولدني أمي شريفا وأنشأني
والدي عفا ثم بكى وهو يقول . أنا أغالب الفقر في جهد الجبارة.

وها هي ابنتي تموت تحت ناظري من جراء الفقر فما عساي أفعل
لقد كنت أباهي بفقرى وأقول شرفي حسبي تصور يا ولدي أنني أقضى
طوال اليوم أعمل في تنظيف الشوارع . لقاء دريهات لا تكفي

السدر رمقي وحدي . ومع ذلك أعيش مع زوجتي وأولادي قانمين
بالقليل نأكل وجبة بسيطة ونترك أخرى ألا تراني كالقائد الذي
يقاتل الأيام على أمل أن يهرع أخيراً بجيشه إلى الوكون تياها بشجاعته ونبله
كل شيء أحملة يا ولدي . الجوع . المزي . الحرمان إلا موت
ابنتي . ذهبت بها إلى المستشفى فنظر إليها الطبيب في كبرياء وتمتم
دعورها في المستشفى بضعة أيام تحت العلاج . ولم يحاول أن يعرف
علتها بالضبط وهمس في أذني مساعد الطبيب : ان شئت ان
تتعافى ابنتك فعالجها في مستشفى الطبيب الخاصة . العلاج هنا
لا فائدة منه . ألوف من المرضى أفهمتم . وغمز بعينه ومد لي يديه
فتمهدت وقلت : إلى الغد . وسحبت ابنتي وخرجت هاربا
بها من الموت فقل لي بالله . أين أذهب . والطبيب يستغل واجبه
لغايتة الشخصية أه ما عساي أقول لك كثير . كثير جداً ولكنني
محموم بسبب ابنتي

وانقطع الطبيب عن الكلام ليخفف مدامعه وليشفق على الفتاة
التي بكت متأثرة ثم استطرد بصوت متقطع النبرات
كنت في هذه السن مشبوب العاطفة مليء النفس بالمثل العليا

فلما كنتي المطف على ارجل المسكين وأشفقت على الفتاة المريضة وصح
عزى علي أن أساعدهم جهد استطاعتي وبدأت أدخر من مصروفي
ورحت أكذب علي والدي وأطالبه بنفرد مدعياً أنها مطلوبة
مني لقضاء لوازم مدرسية ثم أقدمتها الى والد المريضة فكان يتقبلها
باكياً راجياً ان يردها الى في مقبل الايام عندما يتيسر له الحال
وأقسم لك أنني لم أفعل ذلك من أجل المريضة ولم أفكر
فيها مطلقاً وانما كان شاغلي الوحيد هو بؤس العائلة وما تكابده
من آلام وحرمان بينما تتمتع نحن وأمثالنا بكل متع الحياة المشروعة
وغير المشروعة وتفتح ذهني واتجهت مشاعري نحو ما أس الحياة وما
يعانيه البؤساء حتي اصبحت أعبر الطريق القصير في ساعات بدل
دقائق معدودات كما كنت أفعل من قبل وذلك لأنني تحولت الى
قوة مفكرة حساسة هائلة تتأمل كل مشهد وتتفرس في كل ظاهرة
نقمت على الاغنياء البخلاء — حتى علي أبي — وقد كان
الذهب الذي في خزانته ككنار موقدة كلما لمحتها خيل الى أنه نار
تشتعل فكنت احترق والصهر حتي تحولت الى ثورة وتمرد
في خزانته عشرة آلاف من الجنيهات أقام نفسه حارساً عليها

الليل نهار . وجارنا لا يملك قوت يومه .

أى ظلم ، أى بؤس ، أى شقاء

أبى يملك هذه الألوف ويقضي طوال النهار قائما يغط كالبهائم
وفي الليل يتمتع بكل ما يهوى من أطيب الوجود في الدار أو خارجها
وجارنا الفقير المحروم يكس الطريق طوال النهار لقاء دراهم
معدودات لا تكفي لسد حاجته وحده وهو مع ذلك لا يشكو

ولا يتبرم ويعيش مع أسرته في هدوء كأنهم اتخذوا المجاعة ديناً
فكرت في لحظة جنون أن أقتل والدي ثم أوزع ماله علي كل
محروم يعيش ثم عادوني إيماني فعدلت وطمنت أن لأبى العذر لأنه
يعيش بمعزل عن الفقراء والبؤساء ولم يتذوق مرارة الحرمان ولم
يشعر بألم الشقاء . وحاولت أن أوجه نظره إلى واجبه الانساني ولا
شك أنه سيرحم هؤلاء ويمنحهم مما وهبه الله ، وجنته ذات مساء قائلاً
إن جارنا الفقير يا أبتاه له ابنة مريضة يدنيها من القبر فقر والدها
المدقع إذ ليس في مقدوره أن يعالجها عند طبيب

فاستفسر من ؟

قلت : جارنا المسكين . الكناس ، وعجبت في نفسي كيف

تمر على هذا التجاور عشر سنين منذ اشترى والدي هذه الأرض
وابتناها قصرًا وحاول أن يشتري كوخ الفقير لكي يجعل منه حديقة
رحيبة تتناسب مع قصرنا الشامخ . فامتنع الرجل وأبى أن يبيعه
عمال قانعا بالمعيش فيه

عجيب . كيف ينكره أبي ولماذا يتجاهله ؟ !
وأخيراً هز رأسه ومط شفتيه وتعم . ليذهب بها الى المستشفى
قلت : الالهال هناك يقضى علي المحتاجين .
قال : لاسبيل أمامه الا ذاك

قلت في حدة ، نحن أغنياء وقليل من المال نبذله في سبيل
اسماده لا يعضيرنا . بل من حقه علينا الرعاية والعطف . نحن أقوياء
وهو ضعيف . أليس من الواجب العطف عليه على الأقل ؟
فصرخ في وجهي ، أنت معتوه . أن هذا الفقير لا يعرف
فلسفتك الجافة وهو قانع بحياته وليس هناك من يعيب عليه
ظواهر الفقر ، أما نحن فالعيون ترقبنا من كل جانب والحياة تطالبنا
بنفقات باهظة تتناسب مع مركزنا . اذا حضر الوزير لزيارة البلدة
من يرحب به ؟ ومن يبذل المال الوفير لاستقباله . اليس الغني هو

المطالب بذلك كله وهو الكفيل بالترحيب به واستقباله

فقطاعته ، يا أبا الفنى هو الذى يجلب لنفسه هذا الزهر الباطل
والظهور الكاذب ، قل لى بالله ما الذى يجنيه الوطن من صرفه
مبالغ طائلة لعمل الحفلات وإقامة الزينات بينما البؤساء يتضورون
جوعاً وينامون على الأرضة بملابسهم البالية

انصرف الآلاف لرفع أعلام الأضاليل وهناك منازل مغلقة
على الظلام المدهم . جوع ومرض وحرمان وسقم يملأ جنبات هذه
المنازل بدل الاضواء الباهرة التي تشيع فى الطرقات

أنصرف المثات لإقامة مأدبة واحدة لاستقبال عظيم أو للتمبير
عن شعورنا طوعاً أو غصباً وهناك الملايين من الفقراء لا يملكون
قوتاً ولا يجدون كسرة خبز

وصمت ملياً أفكر فى طريق ابنه به عطفه هاه يلى ويرحم
بينما كان هو لاهياً غنى بقراءة أخبار المساء وكل الذى يعنيه من
هذه الأخبار أفراح فلان باشا لينته ومصائب فلان باشا ليعزيه
وعودة الوزير ليمستقبله وسفر الوجيه ليودعه وأخيراً قلت :
أعرف أن فى خزانة ما يزيد عن عشرة آلاف و ...

فقاطعتني صارخا : أترصد مالي ؟

قلت في خشوع : لم أحاول رصده . إنما أريد أن أقول
إن هذا المبلغ يمكن استخدامه كأداة صالحة لخير الوطن
الكبير فتستفيد منه وتفيد أبناء وطنك العاطلين . هل لك أن
تتخذ من طلعت باشا حرب وأخوانه قدوة صالحة؟ أخوف ما أخافه
يا أبي أن تتفتح عقول الشباب قريبا عن أفكار تائفة جائحة وترد
محتجزة فيحدث لأمثالك ما لأحمد عقباه خيركم من تقع واستنفع فلم
لا تكون من خير الرجال العاملين يا أبي؟

فانتصب ثائر أقابلا : أنت مجنون وخير لك أن تلتفت إلي دروسك
بدل هذا السخف الذي تفكر فيه . إن الشاب منكم يظن نفسه
أفلاطون عصره إذا عرف كيف ينتهي بعض الألفاظ من الكتب
عن حق أو باطل . ثم تركني وانصرف غني مزجرا ساخطا

خاب مسعيا ولم أستطع تلطيف مشاعر أبي فاضطرت أن
أخذ كل ما تمتد إليه يدي من ماله أو مال أمي لأنفقه على هذه
الأسرة المنكودة وعلى كل فقير محروم . وعشت مع هذه
الأسرة الفقيرة برحمتي ووجداني حتي طغت الروحانية علي المطامع

المادية وتفتتت مشاعري على سرائر الوجود واستطعت أن أعرف
أسباب الشقاء الانساني وبواعث الجرائم والمحن .

إثرة وأناية وجشع ، كل هذه النقائص تكيف حياة الفني
وتضع أمام ناظرية غشاوة كثيفة من الجود والظلم والقسوة مع
ذلة ومسكنة يشمها حقد وتبرم يلازمان مشاعر الفقير فلا هو
مشمول بالرحمة فيقنع ولا هو مكفول بالرعاية فيطمئن وكان لا بد
أن أحارب نزعات المؤثرات الخارجية نزعات مؤثرات بيئي القاسية
حتى انتصرت أخيراً واستطعت أن أنزع الغارسة والنفاق
والكبرياء والطمع والقسوة من قلبي حتى أصبح قصرنا
العظيم ومركز والدي الرفيع وجاهنا التليد أعظم جرماً من مساويء
الفقراء اذا اقتربوا اثماً وبهتاناً في ناظري

ولما انتهيت من دراستي الثانوية ودفعني تأثير من طمع الأطباء
أن أتعلم الطب لكي أكون رحيماً ورسول خير لكل من تعوزه
معمونة طبيب ، وكنت في ذلك الوقت قد تعلقت بابتة الجار
ولسكني كنت عنها هواي لكي لا اشوه طهرها أو أخرج بها
من معبد براءتها وصومعة قناعتها الى دنيا أحلام الشباب الطائشة

المرعجة وقد فهمت باحساسى ان الفتاة أحببتي ولسكنها أخفت عنى
حبها ولم تحاول ان تصارحنى به خجلا وحياء وظننا منها أنه لا يمكن ان
تأبأ لها الهوى أو انظر الى حبها بعين الارتياح لما بيننا من فارق مادي
وما زلت أدنين بحياتي الى القوة العاطفية التي كانت تهيب بى
دائما الى الكفاح والنضال والعمل المتوالى دون نصب أو ملل لكي
أبلغ غايتى المرجوة لقوة هذه الفتاة الروحية

حتى نلت أجازة الطب وصح عزمى على تنفيذ المنهج الذى
رسمته لنفسى ..

و شاء أبى ان يفتح عيادتي فى أجمل حي من الأحياء
الارستقراطية ، فأبيت واتخذتها فى حي من أحياء الفقراء ..
فاستنكر أبى تصرفي وأفهمني انه لا يليق بابن فلان باشا أن
يتخذ عيادته فى حي حقير وحاول أن يثنيني عن عزمي بشتى الطرق
فلم يفلح وولجت طريقي من غير تهيب وبدأت اقوم بعملى على الوجه
الذى يرضى ضميرى

غضب أبى وقطع عنى مساعدته المالية فلم أحفل ووطنت النفس
على الجهاد والاعتماد على عزيمتي وحدها وتوهمت اني لن أعدم

علاج بعض الأغنياء فيعنينى ذلك على معالجة الفقراء بلا أجر
بقدر المستطاع

لكن - مع الأسف - لم يطرق باب عيادتي مريض واحد من
الأغنياء وعرفت أخيراً أن مظاهر الجاه والشهرة السبب القوي في
تكييف حياتنا الاجتماعية والسياسية والأدبية والفنية . .

لم يطرق بابي أى رجل غني أو وجيه لأتنى اعالج الفقراء
والفقير لا يعرف كيف ينفخ في بوق الشهرة الكاذبة بأسلوب الرياء
المعسول فلو اتني عاجت - فلان باشا - لملأ اسمى الاسماع
ولمكنت انبغ طبيب ولهرع الي كل عظيم ، اما واننى اطيب
الفقراء فمعنى ذلك انني غبي جهول

الف سواة لظواهر هذا المجتمع بقدر ما فيها من بريق خلاب
فيها مصائب للأبرياء الوادعين

لم يحزننى هذا الجحود لأتنى استعصت عنه معرفة وخبرة
وفلسفة فاستطعت ان اعرف في شهور ما كان يصعب على معرفته
في اعوام لو عشت بعيدا عن الاتصال بالفقراء وتفهمهم عن كسب
تلمست بيدي الجثث التى تسير عليها اقدام الأغنياء في غير

برحمة ولا خوف من الله العلي القدير .. لكأنهم بخور الأسي المريع
الذي يرتفع الى السماء مكفراً عن جرائم طغاة الأحياء .. ولطالما
نفخت في بوق الرحمة والرجاء عل صوتي يباغ آذان قساة الأثرياء
فكان الأثير يرجع آهائي .. لأنهم مع الأسف صم بكم لا يبصرون
رضيت بالحياة المتواضعة قائما برحبي البسيط سعيدا بخدمة
المرضى التمساء ، وقد تزوجت ابنة جاراننا المسكين مفضلا الفتاة
العفة الفقيرة المخصصة على الفتاة المستهترة الثرية الجاحدة وقد كانت
زوجي عند حسن ظني ففتحني كل ما اشتتبه من حب وما اطمع
اليه من طائفة وهناءة . ولما علم والدي بزواجي جن جنونه وجاهد
لكي يحول دون تحقيقه فلم ادع له مجالا للمحاولة ولم اعبأ بتهديده
الذي ياجأ اليه كل غنى قادر ظانا ان منعه ابنه من الميراث يغير
مجري تفكيره وذلك شأن العاقل الجاهل الضعيف اما انا فقوتي
وإيماني اجل من ثراء العالمين لو تجمع تحت يدي

اصبحت في عرف العائلة كبيرها وصغيرها .. مخطئا مجرما .
لأنني هبطت من مستواي الرفيع الي جنين امراة فقيرة كما
يزعمون . ولقد استطاعت زوجي باخلاصها وحنانها وقلبها وتفكيرها

قادرة على أن تملأ فراغ حياتي فلم اشعر بأي فراغ وكانت تدفني
دائماً الى طريق العمل الانساني المنتج

في يوم جاءني رجل لا أعرفه ودعاني لزيارة مريض فقير مشرف
على الهلاك وأفهمني انه عثر عليه ملقي في الطريق يسّ ويتوجع أمام
داره وان المريض هو الذي طلبني لأنه يتفأصل بي لما سمعه عني
وهو مستعد لتقديم الجزاء المادي لقاء انعابي فاكبرت الرجل ولم
أشأ ان اكون اقل منه رحمة وكرما فأفهمته أن واجبي يحتم علي
رعاية المريض ويلزمني العناية بالفقير دون أجر ، وقطعنا الطريق
في حديث عابر حتى وقفت بنا السيارة امام منزل في حي مجهول
لم اعرفه وتقدمني الرجل الى داخل الدار مسرعاً ثم سأل خادمه أين
المريض يا ولد : فأجابه الخادم في عجلة كأنه متأهب لهذا السؤال
لقد خرج توأ يعدوكا للمجنون وقد حاولت أن أمنعه فغلبني وخرج
مسرعاً ، فزجر الرجل وضرب خادمه لاهاله واعتذري في لطف
وأفهمني أنه اشد تألماً مني إذ كان يسعده ان يقوم بخدمة انسانية
ثم دعاني لتناول قدح من القهوة ريثما يخرج الخادم للبحث

عنه و لعله يجده

فلبيت دعوته وجلسنا نتحدث في مآسى الانسانية وكان
الرجل يتنهد في مرارة ولم يحاول أن يرفع نظره في وجهي وقد
فسرت ذلك لخجابه من تبديد وقتى سدى وعندما تشعب بنا الحديث
ووصل الى نقائص المجتمع ومساوىء الأدهيين وكيف طغى
الكذب والنفاق والحسد والضعينة والحقد والانايسة على الفضائل
العليا . أطرق الرجل صامتا وتنفس الصعداء وتمم ٠٠ انت نبيل
يادكتور ولا تستحق إلا كل خير وليث الانسان في مقدوره ان
يغالب الأهواء ولا يتأثر بمغريات الحياة حتي يصون نفسه وغيره
ليت ذلك في مقدور الانسان

الى هنا قطعت الحديث لاضطراري الى عيادة مريض ورجوته
ان يأتى بالمريض الى عيادتي ويترك لى شأنه معتمدا على الله وعلي
وعادت بي السيارة من طريق آخر كثير الالتواء حتى بلغت
منزلي وشئت ان أرد مجاملة الرجل فاعتذر مرجئا زيارتي الى وقت
آخر ولم يدعني الح عليه بل حرك سيارته واختفى في لمح البصر
ولقد أفزعنى السكون الخيم على داري وغلق جميع النوافذ على

غير العادة و كنت اقرب ان اري زوجي مهرولة الى .. ولكنها لم
تعمل وكان المفروض ان يفتح الباب بمجرد دق الجرس ولكن الباب
لم يفتح وقد بلال طرفي عليه في شدة .. تذكرت المفتاح الذي
مسي ففتحت الباب و ناديت الخادم فلم ياب النداء فهروا الى
مخدع زوجي فلما منى انها ناعمة

يا المصدمة الهائلة المروعة

(وصفت الطبيب مليا مطرقا في وجوم خفيف وهو يحز علي
شفتيه ثم اعقب)

لا يمكنني استرجاع هذا الخيال .. انه كالسهم المسموم زوجتي
مضطجعة علي ظهرها .. وعلى وسادتها (طربوش رجل)

(صدمت الفتاة فتمتمت بصوت مخنوق رباة ماذا تقول)

قال .. رجل ظننته عاشقها جاءها خلسة

وقد استطاع ان يهرب عند ما سمع نفي السيارة بلا ريب
ولما كنت أشبه بالموتى لفقد قوتي من تأثير الصدمة لم اتمكن من
عمل أى شيء

وسمرت في مكاني وأنا أنظر اليها في صمت أشبه بسكون من

فقد حسه ووعيه ولم أُنذبه إلا على أصوات الجيران. لص أم مريض
مجنون؟ لقد قذف بنفسه من نافذة بيت الدكتور وتعالى صوت
بالصراخ. سيارة من هذه الذي تلقفته؟ - وها هي قد اختفت.
ساوا الدكتور من يكون؟ وهرع بعض الجيران يسألني: فقلت
مخبول. مخبول أين هو؟ فقالوا كأنه كان على موعد مع بعض
الناس، لم يكد يرمى بنفسه حتى تلقفته الأيدي وحملته في السيارة
وقال بعضهم لقد رأيت هذه السيارة عندما خرجت فيها منذ ساعة
وقد عدت فيها الآن. اليس كذلك؟ فتمتت: أجل. أجل.
وتركتهم معتذرا وهرعت الى زوجي، كيف اتركها نائمة في
فراشي بعد أن دلسته؟ وكيف هان علي ان احتمل رؤيتها مرة
أخرى على هذه الصورة؟؟ لم أكن في حالي الطبيعية بالتأكيد
كنت في حلم مزعج مخيف وأخيراً فقدت قواي، ودون تردد
استودعت صدرها رصاصة العدم في سكون. لم تتحرك ولم
تصرخ، ولم تفتح ناظرها ولم تنه بأي كلمة!

وظالت في موقفى فاقد الرشيد والاحساس أشبه بالاموات حتى
نبهني الخادم قائلاً: سيدي مريض يدعوك! وظل يردد الكلمة

بلهيجته النورية وهو يتأملني كالمشده وأخيراً صرخت في وجهه :
قل له الدكتور ايس هنا . ليذهب الى غيرى ، اقل العيادة ! لا
تسمح لأي مخلوق مهما كان بالدخول ! أخرج المرضى وقل لهم ان
الدكتور قد سافر الى غير عودة ! أفهمت ؟ ورحت أهزه في عنف
وقسوة بغير وعى حتى سقط المسكين على الارض ثم انتصب وخرج
وهو زائف البصر فاغرفاه لا يجرؤ على الكلام ولا يقوى على الحركة
ثم تذكرت عدم وجود الخادم الخاص بالمنزل وقت دخولى فناديته وسأله
موقناً بأن سيده كانت أرسلته الى الخارج لقضاء أي شيء ليخلوها
المنزل مع عشيقها فأجابني الخادم في غير تردد او تفكير او عمن
جاء رجل وطلب مني ان اذهب الى ميدان المحطة لان حضرتك
تنتظرني في الكازينو هناك وأفهمني بضرورة الذهاب عاجلاً فذهبت
ثم ارتعش الولد وأردف ولكنني بحثت عن حضرتك فلم أجده
مطلقاً وهماً نذا عدت فإذا يطلب سيدي ؟ ؟

رجل دعاه وآخر دعاني ، ما هذا السر ؟ اذن كانت دعوة
الرجل نكايه ايضاً ، آه لقد تسرعت كان يجب ان اسأل المجرمة قبل
ان تموت . من يكون العشيق وكيف دخل وهل كان يستغفاني من

زمن بعيد ؟ أ كان يعرفها قبل الزواج ؟ وكيف تعرف عليها . آه
 لو لم أكن أحببتها كل الحب وتركت عشيرتي وأهلي من أجلها
 لركلتها بقدمي كالسكاب القذرو تركتها لذئاب الشوارع : ثم تقدمت
 في جنون نحوها اهزها في عنف وأحر كها في قسوة ، عليها تحيا بضعة
 دقائق ثم تموت ولتذهب الى جهنم ، ولكن برودة الدم كهرت
 أعصابي فانتفضت وتراجعت وانا شارد كالمعتوه . وفجأة وقع نظري
 على هدية ثمينة ملقاة على الارض كأن يداً القتلى عمداً تأملتها حتى
 اهتديت أخيراً الى اسم الصائغ بحروف تكاد لا تظهر . كل الخواطر
 ملكتني حتى ارتيمت على المقعد ابكى كالطير المذبوح ، وفجأة
 دخل خادمي مسرعاً يعلن مقدم أخي الاكبر فارتفع الدم في رأسي
 أخي يحضر الآن ! ولماذا ؟ انه لم يزرنى مطلقاً منذ تزوجت : لم
 يطل بي التفكير لأنه دخل دون استئذان . ولما لحني كالمحموم وقف
 أمامي مشدوها قائلاً : أخي . أريض انت ؟ والتفت الى السرير :
 أم زوجك المريضة ، ولما وقع نظره على الدم الذي يسيل من صدرها
 صرخ بغير صوت : ما هذا ؟ واقترب منها : قائلاً في هلع مقتولة !
 ومن الجاني ؟ فنظرت اليه في وجوم وغمغمت مردداً : أنا القاتل !

فترفق بي قائلاً : مسكين ، مسكين ، ماذا حدث ؟ لا بد أنها
خانتك ! لا غرابة ، امرأة حقيرة ، لا تحزن لتذهب مع الشيطان
إلى جهنم ، دع دفن جثتها النتن لي ، وحاول ان يقودني إلى
غرفة أخرى فأبيت مما نعتاً تحت تأثير شعور مبهم خاص ، وجلست
إمام الجثة أقامها ولست أدري كيف كان شعوري وقتذاك ؟ ؟
كنت فاقد الرشدة والادراك لسكنني شاعر بكل ما حولي

قام أخي بمهمة الدفن في عجلة وساعده المال الموفور على تنفيذ
أوامره دون أي شك أو ارتياب ! وكان يذم فرصة وجوهي فيهمس
في أذني : كان المفروض ان نفهم من قبل ان هذه المرأة غير جديرة
بك . ومرة أخرى يقول : اعرفت ان المرأة الفقيرة لا تصلح
لرجل غني ! ثم يقول : لقد ضحيت عائلتك وسمعتك في سبيل
عاهرة ! لا تحزن ، فلتذهب في ذمة الشيطان

لا انكر انني كنت مليء الصدر باحتقارها ومقتها ولاكن
هذا الكلام كان يلطف هذا الحقد كأنه مرهم يمسح به جرحي .
وزاد شكّي تعقيداً وغموضاً عندما لمحت أخي يرفع الوسادة في
حذر وهو يرقبني وقد غصصت الطرف عنه لأشعره أنني لم أره

ثم تناول ورقة من تحت الوسادة واخفاها . رباه ؟ ما الذي يدور
في رأسي ! لقد خطر لي خطر ولعب الشك بعقلي !

استجعت قواي وتكلفت البشر ساخرأ . لقد استرحت
الحمد لله ، لتذهب الى جهنم . وتصنعت الهدوء والاطمئنان
فاطمأن أخي وراح يحدني في شبه دعاية ليرفقه عني . رجوته أن
ينام معي ليبدد خواطري المزعجة فام يمانع . مرت الساعات وأنا
أضحك في جنون والله وحده هو العليم . لما يجول في نفسي الى أن
حان ميعاد النوم فتناومت حتى تأكدت من استغراق أخي في
نوم عميق : فتسالت في حذر ثم فتشت محفظته فوجدت الورقة

زوجي المحبوبة

سيحضر اليك أعز اصدقائي في الوجود . رجي به وأحسني
استقباله ومعاملته ودعني في المنزل حراً يجلس في أي غرفة يشاء
ينام حيثما أحب . في مخدعك أو مخدعي . مستجدين في قربه أخا
لطيفاً وديماً واقبلي منه هديته واستمتعا بالوقت ريثما احضر فقد
يطول بي الغياب

زوجك : مختار

كنت اقرأ والحروف ترقص امام ناظري ، رسالة الى زوجي
مني ! الخط يشبه خطي وكذلك التوقيع . كيف حدث هذا ؟

رباه . انقذني بحكمتك ! صعقت وبدأت الخواطر تتوارد امام ذهني
أيكون اخي باعث الجاني وسبب هذه النكابة ؟ لكن هذا
لا يمكن ابدا . ابدا ، تركت الغرفة لأن مظهره في نومه الهادي
كان يفزعني ويخيفني وينبه جنوني وانزويت في غرفة اخرى
مفكراً . لم يكد النهار يظهر حتي تركت منزلي دون علم اخي
وهرولت الي السوق ابحت عن الصائغ . وبعد عناء وجدته ولما
سألته عن مشترى الهدية ، ذكر لي اسم اخي ! أيمكنك ان تتصورى
شعور من يحكم عليه والده بالاعدام لغير ذنب او جريمة ؟

بأقصى سرعة عدت الي منزلي وقد صبح عزمي على قتل اخي .
أجل لا بد من قتله ، كنت أسابق قوة الموت في الطريق حتي بلغت
المنزل فدخلت عليه وقد ملسكتني قوى العالمين . ولسكتني لم اجده
لقد خرج منذ ساعة ! وتقدم مني الخادم قائلاً : وجدت هذه الزجاجة
هلمقة بجانب السرير . تأملتها فاذا هي سائل مخدر . في التو
فهمت لماذا ماتت زوجتي بسرعة إذ كانت في شبه اغماء بسبب هذا
المخدر . اذن لم ينل منها المجرم وطره الا بعد تخديرها

رباه . رباه . رباه . أنت وحدك الرحيم ، لقد ماتت شهيدة

اذن لم تذنّب وكنت المجرم ، رب ، رب رحماك

زوجي بريئة وأنا القاتل ، وأخي قاتلنا . ظل هذا الخطر مرتسماً
أمام عيني مسرعاً ذهبت الى منزل العائلة مردداً : أخي أخي واستوقفني
الخدم قبل ان اصعد الدرج : لقد طلبناك في التليفون فلم نجدك :
والدك يطلبك . انه يحتضر : والدي يحتضر ويطلب رؤيتي

ولما رأني الشيخ بكى وأمام جلال الموت تلاشت ارادتي الجارحة
ونسيت رغبتى الملاحقة في الانتقام . وهمس الشيخ أخيراً : اقترِب
مني يا ولدي دعني أقبلك انك أنبل أولادي ، أنت فخرى وحسبى
تركت لك وحدك كل ثرائي ليحفظ بعيداً عن الداس اعف عن
أخيك لقد أساء التصرف . بحسن نية يا ولدي دفعته كنت أريد
أن أزوجه فتاة كريهة لكن أخاك تعجل في غير روية أو تفكير
أعف عنه يا ولدي . ان الخمر أفسدت قلبه والميسر أفسد عقله اعف
عنه وعني وان كنت لم أرغب في موتها كنت أريد أن تسرحها
سراحاً جميلاً وحرماًني منك هو الذي دفعني للحرص عليك

اعف عني يا ولدي

وخرجت روحه بطيئة كأنها تنتظر مني العفو

ردفني رهبة الموت الى عقلي فبكيت والدي ونسيت جرم أخي
ولكنني ظلمت حتى الآن لا أذكر أبي ولا احب اخي ووقفت

حياتي على ذكرى الشهيدة وتركت الطب ايضا اذ لم تعد لدي قوة
فبكرية أو بدنية استعين بها على القيام بعمل على الوجه الاكل
اذ تتابني من آن لآن بعض نوبات عصبية واخشى ان تعاودني
النوبة وبين يدي مريض فأقضي عليه ولم تعد الحياة الا مرحلة لا بد
من اجتيازها رغما عني وان كان حبي للمقراء لم ينقص بل ازداد
قوة وايمانا لانتي ازددت حبا للشهيدة ولطالما سولت لي نفسي
الانتقام من اخي كما فاض حزني على فراقها الابدي
لكن خيالها كان يترأى لي من وراء الافق نورانيا قائلا :
اعف عنه لقد بعثني الى السماء

منذ ذلك اليوم احبت الفتاة الطبيب حبا قويا اكيدا وبدأ
الطبيب يبادلها الحب في طهر وهدوء وقد نسيت الفتاة أوهامها به
حتى جاءته يوما فوجدته مبهوما محزوننا فبادرته ماذا هناك
فلم ينظر اليها وتمتم لقد رأيته في المنام ممرضة عني قائلة لقد مت
في سبيلك شهيدة فهل يصعب عليك ان تعيش في سبيلي بيذا ؟
وبكى الطبيب وهو يقول سأترك الحياة واختفى في صومعة فتعلقت
به الفتاة قائلة وانا أتركك : فغمغم بصوت مخنوق اريد أن أعيش
شهيدا فقد ذهبت في سبيلي شهيدة !